فى الصراع الإسلامى - الصليبى

(معركة أرسوف ١١٩١ م / ٥٨٧ هـ)

د . محمد مؤنس أحمد عوض
كلية الآداب - جامعة عين شمس

الطبعة الأولى
١٩٩٧



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
ÉIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهواري

د . شوقي عبد القوى حبيب

د . على السيد على

د . قاسم عبده قاسم

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفي

تصميم الغلاف : منى العيسوى

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

– ٦ شارع يوسف فهمي – اسباتس – الهرم – ج.م.ع – تليفون : ٣٨٥١٢٧٦

– ٥ شارع ترعة المريوطية – الهرم – ج . م . ع – تليفون ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

6, Yousef Fahmy St., Spates - Elharam - A.R.E. Tel : 3851276

5, Maryoutia St., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

عناصر البحث

المقدمة - التعريف الجغرافى والتاريخى بأرسوف - اتجاه الصليبيين نحو الطريق البرى بعد سقوط عكا - مهاجمة الجيش الأيوبى للصليبيين - أسلوب القتال أثناء الزحف - المفاوضات فى تل الراهب واخفاقها ونتائج ذلك - تنظيم الجيش الصليبى - الأسطول الصليبى ودوره - تنظيم الجيش الأيوبى - التحديد الزمني للمعركة - المراحل الثلاث لمعركة أرسوف ومناقشة كل مرحلة - دور عناصر الإسبتارية في الهجوم الصليبى - لجوء القوات الأيوبية إلى غابة أرسوف - خسائر الأيوبيين - خسائر الصليبيين - مناقشة هل كانت معركة أرسوف حاسمة أم لا - عوامل انتصار الصليبيين وعوامل هزيمة المسلمين - نتائج المعركة بالنسبة لطرفى الصراع - مناقشة احتمال تأثير معركة أرسوف على صلح الرملة - المقارنة بين معركة أرسوف ومعركة الرملة - الخاتمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الصراع الإسلامى - الصليبى
معركة أرسوف ١١٩١ م / ٥٨٧ هـ

يتناول هذا البحث بالدراسة معركة أرسوف التى جرت بين الجيش الأيوبى بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى ، والجيش الصليبى بقيادة الملك الإنجليزى ريتشارد الأول عام ١١٩١ م / ٥٨٧ هـ ، ويتعرض لدراسة الموقف العسكرى بين الجانبين المتصارعين فيما بعد إسقاط مدينة عكا خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة ، وملابسات المواجهة العسكرية بين الجانبين عند أرسوف ، وكذلك تنظيمات كل جيش ، وعوامل انتصار الصليبيين وعوامل هزيمة المسلمين ثم تلك النتائج التى نتجت عن المعركة بالنسبة للطرفين .

والجدير بالذكر ، أنه على الرغم من أهمية معركة أرسوف ، فإنها لم تحظ بالاهتمام الجدير بها من جانب الباحثين في دراسة عربية مستقلة باستثناء دراستها ضمن أحداث الحملة الصليبية الثالثة ، ومن ثم دعت الحاجة إلى التصدى لدراستها من خلال الاعتماد على المصادر الصليبية المعاصرة والمصادر التاريخية للعصر الأيوبى سواء المعاصرة أو المتأخرة نسبيًا ، وكذلك مناقشة تصورات الباحثين الأوربيين القدامى ، والمحدثين لتلك المعركة وفعالياتها وتأثيرها على الصراع الإسلامى - الصليبى حينذاك ..

ومن المعروف أن المسلمين بقيادة الناصر صلاح الدين الأيوبى تمكنوا من تحقيق انتصار حاسم على الصليبيين فى معركة حطين[١] فى ٣ يوليو ١١٨٧ م / ٢٤ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ ، وتمكنوا من الاستيلاء على المدن الصليبية الساحلية وإسقاط قلاع الصليبيين واستعادة مدينة بيت المقدس فى ١٢ أكتوبر ١١٨٧ م / ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ ، على نحو أدى إلى قدوم الحملة الصليبية الثالثة بقيادة فردريك بارباروسا[٢] Frederick Barbarossa إمبراطور ألمانيا (١١٥٢ - ١١٩٠م/٥٤٧ - ٥٨٥ هـ) الذى غرق وهو فى طريقه إلى بلاد الشام [٣]، ثم هناك ريتشارد الأول[٤] Richard I الملقب بقلب الأسد Heart of Lion ، ملك إنجلترا (١١٨٩ - ١١٩٩م / ٥٨٥ - ٦١٩هـ) ، وفيليب أغسطس Philip Augustus ملك فرنسا (١١٨٠ - ١٢٢٣م/ ٥٧٥ - ٦١٩هـ) ، وقد تمكن الصليبيون من استعادة مدينة عكا الساحلية وانتزاعها من قبضة المسلمين[٥] فى ١٢ يوليو ١١٩١م / ١٧ جمادى الآخر ٥٨٧ هـ وذلك بعد صراع عنيف دام عامين كاملين استهلك كل طرف طاقته العسكرية إلى حد كبير خلاله ، وعدت معركة عكا خلال الحملة المذكورة أطول معارك الحروب الصليبية فى بلاد الشام على مدى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين / القرنين السادس والسابع الهجريين دون مغالاة فى القول .

وفى المرحلة التاريخية التالية ، وقعت أحداث معركة أرسوف Arsuf بين المسلمين والصليبيين فى عام ١١٩١م / ٥٨٧هـ ، ومن الضرورة بمكان إلقاء نظرة موجزة على جغرافية وتاريخ مدينة أرسوف ذاتها التى جرت عندها وقائع ذلك الصدام الحربى .

فأرسوف : مدينة وقعت على ساحل فلسطين بين قيسارية Caesarea ويافا Joppa ، وبعدت مسافة عشرة أميال إلى الشمال من يافا ، وكانت المسافة بينها وبين قيسارية نحو ثمانية عشر ميلاً [٦] ، ومن المحتمل أن اسم أرسوف Arsuf مشتق من اسم الإله السامى رسيف Re- seph [٧]، وسميت أرسوف فى المصادر الجغرافية الأوربية فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى بعدة أشكال ، فهي أحيانًا أتسوف Atsuph[٨] ، أو أزوتس Azotus [٩]، أو أرسور Arsur أو تارسوف Tarsuf [١٠]، ولاريب فى أن كثرة ترددها لدى مؤلفى تلك المصادر يعكس أهمية موقعها على الساحل الفلسطينى ، وكثرة مرتاديها على مدى مراحل زمنية متعددة .

ومن زواية أخرى ، مما يذكر عن طبوغرافية المنطقة أن إحدى الغابات الكثيفة الأشجار[١١] وجدت عند أرسوف ، وقد توافرت هناك فوق عدد من التلال [١٢].

زد على ذلك ، أن هناك عدة أنهار فى المنطقة الواقعة بين قيسارية وأرسوف ، وهى بالترتيب النهر الميت Dead River ، ووقع إلى الجنوب من قيسارية ، ثم نهر الملح Salt River ، ووقع إلى الجنوب من النهر السابق ، ثم أخيراً نهر روشيتايل Rochetaille River أو نهر الفالق ؛ ووقع إلى الشمال من أرسوف [١٣].

والواقع أنه فى القرون الأولى من عهد الخلافة عُدَّت أرسوف واحدة من المدن الحصينة الرئيسية فى فلسطين [١٤]، وارتبط بها عدد من المجاهدين المرابطين كما انتسب إليها فيما بعد عدد من العلماء الذين حرصت كتب الأنساب على إيراد أسماء بعضهم [١٥].

وفي عصر الحروب الصليبية : نجد أن أرسوف كانت في دائرة الأطماع الصليبية التوسعية على حساب المسلمين وذلك منذ وقت مبكر، وتعليل ذلك كونها بوابة ميناء يافا الشمالية حيث عدت يافا بدورها ميناء بيت المقدس . ويقرر المؤرخ الصليبي فوشيه دي شارتر Fulcher de Chartres أن جودفري دي بويون Godfrey de Bouillon - أول حاكم لبيت المقدس بعد استيلاء الصليبيين عليها عام ١٠٩٩م/٤٩٣هـ - قد اتجه إلى حصارها خلال المرحلة الممتدة من نهاية شهر أكتوبر حتى منتصف شهر ديسمبر ١٠٩٩م / منتصف ذي الحجة ٤٩٢ إلى نهاية المحرم من عام ٤٩٣ هـ(١٦) : أي على مدى شهر ونصف تقريبًا دون أن يتمكن من إسقاطها .

ووفق ما تقرره المصادر الصليبية ، فإن سكان أرسوف عملوا على مهاجمة الصليبيين ، والفتك بهم على نحو أدى إلى سقوط الكثير من بينهم من جراء تلك الهجمات (١٧).

وقد اتجه الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠ - ١١١٨م/ ٤٩٣ - ٥١١ هـ) إلى الاستيلاء على أرسوف ضمن سياسته التوسعية حيال الساحل الشامي ، وقد تمكن بالفعل من تحقيق ذلك بمساعدة أساطيل الجنوية وذلك في ٢٩ أبريل ١١٠١م / ٢٧ جمادى الآخرة ٤٩٤ هـ (١٨). فنجح بذلك فيما فشل فيه جودفري دي بويون من قبل .

وهكذا ظلت أرسوف خاضعة للسيادة الصليبية باعتبارها لوردية Lordship كانت تقدم للملك الصليبي خمسين من عناصر السرجنت

Serjeant[١٩] إلى أن تمكن المسلمون بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى من استدادها فى أعقاب معركة حطين عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ[٢٠].

تلك كانت لمحة جغرافية وتاريخية موجزة ، عن تلك المدينة التى ارتبطت بها المعركة الحربية التى جرت بين الجيش الأيوبى والجيش الصليبى : وهو ما سنتناوله مفصلاً على مدى الصفحات التالية .

والجدير بالذكر : أن الصدام الحربى بين الطرفين فى أرسوف قد حدث فى أعقاب سقوط عكا فى قبضة الصليبيين وقد كان هدفهم العسكرى التالى يتمثل فى إقامة قاعدة توفر لهم إمكانية مهاجمة بيت المقدس من خلالها ، ولذلك اتجهوا صوب يافا ، وقد اتخذوا فى سبيل ذلك الطريق الساحلى Via Marina ، أو الرومانى Via Romana ، ووفق ما تقرره المصادر التاريخية المعاصرة ، فإن الصليبيين بعد فراغهم من أمر عكا : برزوا منها فى ٢٢ أغسطس ١٩٩١م / ٢٨ رجب ٥٨٩ هـ ، واتجهوا فى مستهل شهر شعبان صوب حيفا Haifa ، وقد اتجه الجيش الأيوبى إلى مضايقتهم فى سيرهم ، ومناوشتهم ، وتمت مهاجمتهم بالسهام على نحو وصف بأنه « ما كان يحجب الشمس » ، وقد قتلوا وجرحوا من أعدائهم عدداً كبيراً [٢١].

ومن الواضح أن المسلمين عملوا على مهاجمة القوات الصليبية من أجل تحقيق عدة أهداف مجتمعة ، وفى مقدمتها ، وقف أو على الأقل إعاقة وتأخير تقدم تلك القوات جنوبًا صوب عسقلان ، إذ أن تلك المدينة احتلت أهمية استراتيجية كبيرة من خلال قربها من بيت المقدس حيث

يمكن للصليبيين شن هجماتهم نحو المدينة المقدسة من خلال عسقلان ، ولا نغفل هنا أن حامية عسقلان الفاطمية - قبل سقوط المدينة فى قبضة الصليبيين من قبل فى عهد بلدوين الثالث (١١٤٤ - ١١٦٢م / ٥٣٩- ٥٥٧ هـ) عام ١١٥٣م / ٥٤٨ هـ ، كثيراً ما هددت العاصمة الصليبية ، وهكذا ، فإن المسلمين بعد استردادهم لها فى أعقاب معركة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ ، أراد الصليبيون استعادتها كى تكون موضع قدم لهم على ساحل جنوب بلاد الشام ، كما أنهم أرادوا - من ناحية أخرى - قطع اتصال مصر بالشام من خلال إخضاع تلك المدينة الاستراتيجية فى قبضتهم .

وهكذا ، من الممكن إدراك توجه الصليبيين جنوبًا ؛ من خلال تلك المدينة ، الذين أدركوا حيويتها البالغة فى تلك المرحلة على نحو خاص ، وبالتالى يصدق القول أن أرسوف ذاتها لم تكن سوى إحدى محطات مرور الصليبيين بالطريق إلى عسقلان ؛ ومنها إلى بيت المقدس .

أضف إلى ذلك ، أن المسلمين أرادوا إلحاق أكبر قدر من الخسائر البشرية والمادية فى صفوف أعدائهم ، وبالتالى إنهاك الجيش الصليبى على نحو يؤدى إلى ضعف فعالياته الحربية بصورة أو بأخرى ، وهكذا ، فإن تلك الهجمات الأيوبية لاسيما من خلال السهام كان لها دورها فى بعث الاضطراب فى القوات المعادية على نحو كان له أثره على الانضباط العسكرى أو ما عرف لدى الصليبيين باسم Disciplina Militarisi .

ولا نغفل ناحية أخرى ، وهى رغبة المسلمين فى الثأر لإخوانهم الذين سقطوا من أفراد حامية عكا والذين أمر ريتشارد بضرب أعناقهم جميعًا

وكانوا زهاء ٢٫٥٠٠ رجل ، خاصة أن الفارق الزمنى كان قصيراً بين معركة عكا ، ومعركة أرسوف والمناوشات التى سبقتها .

ومن الملاحظ أنه خلال عملية الزحف من جانب الصليبيين بمحاذاة البحر ، أظهروا جلداً واضحا عرف عنهم من قبل ، كذلك امتازوا بتنظيم العمل ، فكان جيشهم يتبادل الراحة حتى لايرهق . فهناك قسم يشارك فى الصدام مع المسلمين ، وهناك قسم آخر يستريح لا يقاتل ، فإذا لحق الإرهاق القسم الأول تولى الثاني الأمر بدلاً منه ليستريح القسم المجهد ، بينما كانت عناصر الخيالة فى الوسط لاتخرج إلا عندما تحمل على المسلمين فقط [٢٢]. ولاريب أن ذلك كله يعنى أن المشاه كان عليهم العبء الأكبر فى الطريق إلى أرسوف ، مع عدم إغفال دور عناصر الفرسان بطبيعة الحال .

والجدير بالذكر هنا ، أن ما حدث من صدام بين الجانبين فى الطريق إلى أرسوف يمكن أن يوصف بأنه نموذج لأسلوب عسكرى عرف بالقتال أثناء الزحف ، وذلك من خلال هجمات خاطفة للجيش الأيوبى ، وكان الهدف التكتيكى يتمثل فى وقف طابور العدو أو اختراقه ، ولذا فقد بذل الصليبيون جهدهم الجهيد من أجل الانضباط والبقاء فى صورة طابور متراص [٢٣].

ومن الممكن ملاحظة أن ذلك الأسلوب القتالى الذى اتبعه الجيش الأيوبى وكذلك الصليبى لم يكن فريداً ، بل أن القرن الثانى عشر الميلادى / القرن السادس الهجرى احتوى على العديد من أمثلة القتال أثناء الزحف ، ومنها ما حدث فى صراع بلدوين الثانى (١١١٨ -

١١٣١م / ٥١٢ - ٥٢٥ هـ) مع ايلغازى الثانى فى عام ١١١٩م / ٥١٣ هـ ، وكذلك خلال الحملة الصليبية الثانية وماحدث للملك الفرنسى لويس السابع (١١٣٧-١١٨٠م / ٥٣١ - ٥٧٤هـ) فى آسيا الصغرى فى شتاء عام ١١٤٧ - ١١٤٨م / ٥٤٢ هـ فى أفسوس [٢٤].

مهما يكن من أمر ؛ فإنه من خلال الهجوم الأيوبى بالسهام على الجيش الصليبى تم ايقاع الخسائر فى الصليبيين وكذلك خيولهم[٢٥] ، بالإضافة إلى أن السهام ذاتها كان من شأنها فرض التوتر العصبى الشديد على الجنود الذين تعرضوا لها [٢٦]. كذلك نجد أن المسلمين عملوا على تخطف الصليبيين وقتلهم[٢٧] ، وقد وضح ذلك الأسلوب على نحو خاص خلال عملية الزحف من قيسارية إلي أرسوف ذاتها[٢٨].

والواقع أن ذلك الأسلوب القتالى قد استمر حتى الوصول إلى غابة أرسوف وخاصة عند قرية تعرف بدير الراهب [٢٩]؛ إذ تطور الأمر من خلال طلب الصليبيين التفاوض مع المسلمين [٣٠]، وتؤكد المصادر العربية على أن الطرف الصليبى أقدم على طلب التفاوض ، ومن الممكن تعليل سبب الإقدام على التفاوض مع المسلمين من جانب الصليبيين على اعتبار الرغبة فى كسب الوقت وإعادة تنظيم قواتهم بعد أن أجهدهم السير جنوبًا ومهاجمتهم طوال الزحف ، ومثل هذا التصور له مبرره على اعتبار أن الصدام بين الجانبين فى أرسوف قد أثبت كفاءة الصليبيين الحربية على نحو عكس لنا أنهم أعادوا تنظيم صفوفهم ، وترتيب قواتهم قبل المعركة ؛ وهو أمر اتاحته فرصة الدخول فى المفاوضات مع أعدائهم .

ومن زاوية أخرى ؛ من المرجح أن الخسائر التى لحقت بالصليبيين ؛ كانت من العوامل إقدامهم على طلب الدخول فى المفاوضات .

أما إذا انتقلنا إلى الطرف الآخر ، ونعنى به المسلمين ، فنعرف أن السلطان الأيوبى عمل على الإفادة من المفاوضات من أجل كسب الوقت هو الآخر ، حيث أن هناك إشارة صريحة أوردها ابن شداد تفيد بأنه أوصي العادل بأن " يطاول الفرنج فى الحديث "(٣١) ، والمبرر فى ذلك أن الجيش الأيوبى كان ينتظر عناصر التركمان التى تم استقدامها من أجل تدعيم الفعالية الحربية ضد الجيش الصليبى(٣٢) فى الصدام المرتقب .

وتفيد الإشارة السابقة فى توضيح أن الأيوبيين كانوا على يقين كامل من ضرورة المواجهة الحربية مع الصليبيين وأن المسألة لاتعدو أن تكون مجرد كسب وقت لضمان إعداد أفضل لقواتهم .

وقد وردت إشارات تفيد وجهة النظر الصليبية التفاوضية ؛ إذ أن ريتشارد الأول ذكر أن القتال طالت مدته بين الجانبين ، وأن الصليبيين القادمين من الغرب الأوربى ما قدموا إلا من أجل مناصرة صليبيى الشام، وطالب المسلمين بأن يصالحوه من أجل أن يعود كل إلي موقعه(٣٣) ، وعندما استفسر العادل الأيوبى - الذى كان يمثل الطرف الأيوبى فى المفاوضات - عن الأساس الذى ستقوم عليه أية مصالحة بين الطرفين أوضح له الملك الإنجليزى أن علي المسلمين أن يسلموا للصليبيين ما استردوه من أملاك(٣٤)، ومن الجلى البين أن تلك الأملاك تمثلت فى بيت المقدس وغيرها من المناطق الداخلية، وكذلك الساحلية التى استولى عليها المسلمون فى أعقاب معركة حطين عام ١١٨٧م/٥٨٣ هـ .

وهناك زاوية مهمة ، تتمثل فى شروط التفاوض لدى كل طرف ، والواقع أن المصادر العربية لا تبرز ما يمكن وصفه « بشروط » من

الجانب الأيوبى ، بل أنها توضح الشروط الصليبية التى سبق ذكرها ، وقد كشف العادل الأيوبي عن موقف الأيوبيين الرافض لمقترحات الملك الإنجليزى ، وأوضح أنه على استعداد لبذل دماء كل فارس من أفراد الجيش الأيوبى فى سبيل ألا يحقق ما يطلبه الصليبيون(٣٥) ، وبالتالى باءت المفاوضات بالفشل المبين .

ومن الممكن - فى يسر وسهولة - إدراك الأسباب الكامنة وراء إخفاق المفاوضات بين الطرفين ، وتتمثل فى البون الشاسع بينهما ؛ إذ أن ريتشارد الأول اقترح عودة المسلمين عما حصلوا عليه بعد معركة حطين، وهو أمر لم يكن من الممكن قبوله بأى حال من الأحوال ، لأنه كان يعنى إجهاض حصاد جهاد مضن بقيادة السلطان الأيوبى استمر لأعوام طوال.

والجدير بالذكر هنا ؛ أن ذلك الاختلاف الكبير بين وجهتى النظر الأيوبية ، والصليبية مرجعه الوضع الحربى لكل منهما ؛ فقد خرج الجيش الأيوبى مثقلاً بالجراح بعد معركة عكا المريرة والعكس بالنسبة للصليبيين الذين تمكنوا من استعادة ذلك القلب التجارى الصليبى على ساحل فلسطين ، وذلك بالإضافة إلى الإمكانات العسكرية الكبيرة التى جلبوها معهم من خلال مشاركة ملك انجلترا على نحو خاص فى أحداث الحملة الصليبية الثالثة . وفى تقديرى المتواضع أن القيادة الإنجليزية قومت الموقف السياسى من خلال انتصارها فى عكا ، وتصورت أن من الممكن طرح مقترحات مجحفة تمامًا بالمسلمين ، يقبلونها من خلال وضعهم العسكرى بعد هزيمة عكا ، الأمر الذى لم يحدث على اعتبار تماسكهم ومواصلتهم الصراع مع الصليبيين .

وهكذا ، من الممكن القول بأن فشل المفاوضات فى دير الراهب أثبتت أن الإحتكام للقوة العسكرية صار أمراً لامفر منه لعلها تغير مركز أى طرف من الطرفين على نحو قد يجعله يتنازل عن إصراره على موقفه من المفاوضات ، إذ فى حالة نجاح الأخيرة - جدلاً - لما حدث ذلك الصدام الحربى ، غير أنه جاء كنتاج لاخفاق أى حل دبلوماسى .

والجدير بالذكر ، أن ذلك الاجتماع التفاوض بين الجانبين قد وقع فى ٥ سبتمبر ١١٩١م / ١٢ شعبان ٥٨٦ هـ [٣٦]، أى قبل خوض غمار معركة أرسوف بيومين فقط ، وقد مثل آخر فرصة ممكنة من أجل التوصل إلى حل سلمى بين الجانبين وتجنب الصدام الحربى بينهما على نطاق متسع فى المرحلة التالية .

على أية حال : من الملاحظ أن ما تحت أيدينا من المصادر التاريخية الصليبية يقدم لنا إشارات مهمة عن تنظيم الجيش الصليبى وعناصره ، وأهم القيادات المشاركة فى أحداث المعركة فى أرسوف ، أما المصادر العربية المعاصرة خاصة ما ألفه العماد الأصفهانى ، وابن شداد ، وابن الأثير ، فإنها لا تشير إلى تنظيمات الجيش المعادى إلا من خلال حادثة الهجوم المفاجئ من جانب الفرسان الصليبيين التى كان لها أثرها القوى على تحديد مسار المعركة لصالحهم .

وفيما يتعلق بتنظيم الجيش الصليبى نعرف أن قطار الأمتعة الذى احتوى على معداته ومتعلقاته المختلفة قد انتشر على امتداد ساحل البحر ، وقد تولى حراسته هنرى دى شامبنى Henry de Champagne وعناصر من المشاة ، واتخذ الرماة مواقعهم فى الصف الأمامى ، ووقف

الفرسان من خلفهم . كذلك هناك عناصر الداوية Templars فى الميمنة، ثم عناصر الإسبتارية Hospitallers فى الميسرة ، أما قلب الجيش الصليبى فكان فيه الملك ريتشارد الأول ملك انجلترا ، وعساكره من الإنجليز والنورمان ، ثم هناك أيضًا عناصر الفلمنكيين والبارونات المحليين من الصليبيين ، وكانوا تحت قيادة جاك دى أفيسن Jacques de Avesnes وكان ذا شهرة فائقة في مجال الفروسية . أما الفرنسيون فإنهم كانوا تحت قيادة هيو دوق برجنديا(٣٧) Hugh of Burgandy .

ومن الممكن ملاحظة أن التشكيل القتالى الصليبى قد شمل ضمن عناصره ، الإسبتارية والداوية وهما من الهيئات الحربية الصليبية التى ساهمت بنصيب وافر فى الصراع الحربى الصليبى - الإسلامى في بلاد الشام على مدى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى . ولذا لانجد معركة حربية كبرى على مدى ذلك القرن - وحتى القرن التالي له ونعنى به القرن الثالث عشر الميلادى / السابع الهجرى - دون أن تشارك بدور بارز فيها مثل تلك الهيئات الحربية الصليبية ، ولسوف تثبت أحداث معركة أرسوف ذاتها أهمية الدور الذى لعبته تلك الهيئات - خاصة الإسبتارية منها - فى تغيير مسار المعركة لصالح الصليبيين .

ولا نغفل زاوية مهمة ، تتمثل فى أن الجيش الصليبى المشارك فى أحداث المعركة احتوى على نخبة كبيرة من كبار القيادات العسكرية سواء من تلك القادمة من الغرب الأوربي مع جيش ريتشارد الأول ، أو تلك التي وجدت في ضمن صفوف الصليبيين المحليين فى بلاد الشام ، ومن المتصور أن مثل تلك القيادات الخبيرة كان لها دورها فى تقديم النصح والمشورة للملك الإنجليزى فى صراعه مع الجيش الأيوبى .

ومن تلك القيادات نذكر روبرت كونت أوف ليسستر[٣٨] Count of Leicester ، وهيوى دى جورناى Hugh de Gurnay ، ونعرف أنه إحدى الشخصيات البارزة من بين الصليبيين ؛ إذ أنه كان ذا إقطاع كبير في نورماندى Normandy وأراضى فى وندوفر Wondover [٣٩]، وهناك أيضًا وليم دى بوريس William de Borris ، ومن المعروف أنه فارس فرنسى ، ولم يكن من عناصر الصليبيين المحليين فى بلاد الشام ، ويلاحظ أن هناك شخصًا آخر يسمى وليم دى بارا William de Barra - كما يلاحظ المؤرخ جون لامونت John la Monte - تردد ذكره فى وثائق بيت المقدس خلال المرحلة الزمنية الممتدة فيما بين عامى ١١٤٢، ١١٥٦م / ٥٣٧ ، ٥٥١ هـ ، غير أن ذكره ينقطع فيما بعد عام ١١٥٦م / ٥٥١ هـ ، ولذلك فمن المتصور أنه ليس نفس الشخص ، ومن الممكن القول بأنه كان رجلاً فرنسيًا ، ولم يكن من فرنجة بلاد الشام [٤٠].

وبالإضافة إلى ذلك : هناك والشلين دى فررير Walchelin de Ferriéres ، وكذلك روجر دى تيونى Roger de Teoni ، وجاك دى أفيسن Jacques de Avesnes والكونت روبرت دى درو Robert de Dreux ووليم دى ميلو William de Mello [٤١]، ولا نغفل أيضًا مقدم هيئة الاسبتارية جارنييه دى نابلس Garnier de Nablus الذى ولد فى بلاد الشام وصاحب ريتشارد الأول فى حملته الصليبية من انجلترا . وتدرج فى عدد من المناصب حتى صار مقدمًا لتنظيم الإسبتارية من ١١٩٠ - ١١٩٢م / ٥٨٦ - ٥٨٨ هـ [٤٢]. ثم هناك قيادة صليبية مهمة ونعنى بها ملك مملكة بيت المقدس الصليبية جى دى

لوزينيان Guy de Lusignan (١١٨٦ - ١١٩٤م / ٥٨٢ -٥٩٠هـ) الذى تعهد بعد حطين بعدم حمل السلاح فى وجه صلاح الدين الأيوبى، بيد أنه نكث بتعهده وعاد ليحاربه من جديد . ثم هناك أخوه جيوفرى Geoffrey وكذلك هنرى دى شامبنى [٤٣].

وتجدر الإشارة إلى أن من عناصر الجيش الصليبى التى لها دورها عناصر لم تكن عسكرية بل كانت ذات صفة دينية ، وكان وجودها له أثره في رفع الروح المعنوية لدى القوات الصليبية من خلال إشعال الحماس الدينى فى الصراع ضد المسلمين ، وهكذا نجد المصادر الصليبية المعاصرة قد أقرت أن أسقف بوفيه Bishop of Beauvais - الذى التحق بأخيه فى يوم المعركة - قد وجد فى صفوف الصليبيين [٤٤].

وتبقى ناحية على جانب كبير من الأهمية ضمن تنظيم الجيش الصليبى ونعنى بها دور الأسطول الإنجليزى فى المعركة ؛ إذ أن ريتشارد الأول أرسل قبل خوض غمارها يطلب نجدة فبلغته فى ثمانى سفن كبيرة مشحونة بالرجال والمعدات[٤٥] ، ومن المنطقى تصور أن مثل تلك القوات كان لها تأثيرها الواضح فى دعم فعاليات الصليبيين . ويلاحظ أنه على الرغم من أن معركة أرسوف تعد وبحق معركة برية الطابع بصفة عامة ، إلا أن الأسطول الصليبى تدخل من أجل دعم القوات الصليبية قبل خوضها كما أوضحت ، مع ملاحظة الندرة الشديدة فى الإشارات المصدرية المعاصرة عن تلك الناحية .

أما تنظيمات الجيش الأيوبى ، فنعرف أن السلطان صلاح الدين الأيوبى قسم جيشه - إلى جانب القلب - إلى أربعة أقسام ، المقدمة

وتحتوى على العناصر التى تقوم بتمهيد الطريق بعد الأمراء المرتبين من أجل الارتحال . أما القسم الثانى ؛ فإنه احتوى على الساقة ، وهم الذين يسيرون فى المؤخرة يراعون الذين يتخلفون من عناصر الجيش ، ثم هناك أيضًا القسمان الثالث ، والرابع ؛ ويتمثلان فى الميمنة والميسرة ، ويقوم القسمان المذكوران برعاية الجوانب [٤٦].

وقد احتوي الجيش الأيوبى على عناصر المشاة ، وكذلك الخيالة الثقيلة ، أما قياداته فإلى جانب السلطان الأيوبى . كان هناك العادل أبو بكر شقيق صلاح الدين[٤٧] ، وكذلك الأفضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين ، وعلاء الدين هرمشاه ابن عز الدين مسعود صاحب الموصل ، ثم الأمير شكار موسك ، وكذلك أبعوش[٤٨] ، وقيماز الطويل[٤٩] ، وهم من مماليك صلاح الدين الأيوبى الذين كانوا على كفاءة حربية عالية تردد ذكرها فى المصادر العربية والصليبية على حد سواء .

ووفق مايقرره أحد المصادر التاريخية الصليبية ؛ فإن من ضمن القيادات الأيوبية التى شاركت فى المعركة الأمير Dequedin أى تقى الدين الذى وصفه المصدر بأنه كان قريبًا لصلاح الدين وتم حمل علمه فى ساحة المعركة [٥٠]، غير أن هناك من يعارض ذلك التصور ؛ إذ أن تقى الدين المشار إليه هو تقى الدين عمر صاحب حماه ، وهو ابن أخ صلاح الدين . وقد كان وقت المعركة فى أرسوف مشتبكًا فى معركة أخرى فى الشمال على نحو يجعل من حضوره الصدام فى أرسوف أمراً مشكوكًا فيه ، أما تواجد علمه فى ساحة النزال فربما كان علمه موجوداً فى

المعركة مرفوعًا على أيدى بعض أتباعه من حماه الذين خدموا فى الجيش الأيوبى [٥١].

أما التحديد الزمنى للمعركة ذاتها ، فهناك شبه إجماع من المصادر التاريخية المعاصرة واللاحقة سواءً كانت لمؤرخين صليبيين أو مسلمين على أن المعركة جرت أحداثها فى ٧ سبتمبر عام ١١٩١م / ١٤ شعبان عام ٥٨٧ هـ [٥٢]، ومع ذلك نجد أن أبا شامة (٦٦٥ هـ / ١٢٦٨م) قد أورد توقيتها على أنه ١٤ رمضان عام ٥٨٧ هـ [٥٣]، وهو أمر مستبعد تمامًا ؛ إذ أنها حدثت من قبل ذلك ، والتحديد الخاص بـ ١٤ شعبان عام ٥٨٧ هـ قال به المؤرخ المعاصر وشاهد العيان لأحداثها ونعنى به المؤرخ بهاء الدين بن شداد ، ووجد صدى لدى المصادر التاريخية الصليبية الأخرى مثل أمبرواز وغيره - فيما يتصل بالمقابل الميلادى - على نحو يجعلنا لا نقبل التحديد الذى ذهب إليه أبو شامة المتأخر عن تلك الأحداث .

ومما يدعم التصور بأن تحديد المؤرخ الأخير لا يطابق الواقع التاريخى؛ أننا ندرك أن تخريب عسقلان كان تاليًا لأحداث معركة أرسوف ، حيث أن ذلك التخريب قد وقع فى ١٩ شعبان ٥٨٧ هـ [٥٤]/ ١٢ سبتمبر ١١٩١م ، فمن غير المنطقى أن تكون المعركة ذاتها وقعت فى شهر رمضان ، والتخريب كان فى ٧ سبتمبر ١١٩١م / ١٤ شعبان ٥٨٧ هـ .

وبالإضافة إلى ما سبق ، هناك ناحية حيوية تتصل بالروح المعنوية للطرفين ، فمن الواضح بعد انتصار الصليبيين فى معركة عكا واستيلائهم عليها ، ارتفعت روحهم المعنوية ، وتأجج لديهم الأمل فى

تحقيق المزيد من الهزائم العسكرية بالمسليمن والوصول إلى بيت المقدس ، أما المسلمين فإن تلك الزاوية كانت تمثل نقطة معاناة لديهم ، خاصة بعد افتقادهم معقلهم السابق ، ومع ذلك فإن الرغبة فى الثأر من الصليبيين كانت متأججة فى نفوس المسلمين بشكل كبير ، وقد أججها بصورة غير مسبوقة فى نفوسهم النهاية المأساوية للأبطال المسلمين الذين حوصروا فى عكا وذبحوا بأوامر من الملك الإنجليزى كما أسلفت الذكر .

أما الخطط العسكرية المتبعة من الجانبين ، فنعرف أن ريتشارد الأول اتجه إلى الزحف من عكا صوب يافا من خلال الطريق الساحلى Via Marina أو الروماني Via Romana ودل ذلك على كفاءته فى التخطيط من أجل تجنب الإصطدام مع الجيش الأيوبى فى معركة مكشوفة ، وفى نفس الحين يكون على مقربة من أسطوله الذى أمده بالمؤن والإمدادات - كما أسلفت - وكذلك من أجل تأمين ميمنة الجيش الصليبى من جهة البحر(٥٥).

والواقع أن ذلك الطريق لم يكن فى ذهن القيادة الأيوبية التى اعتقدت أن الصليبيين سيسلكون أحد طريقين أولهما شرقًا إلى طبرية ، ودمشق ، على حين يتجه الثانى صوب الجنوب الشرقى إلى بيت المقدس، ولذلك أعدت القيادة الأيوبية قواتها من أجل توزيعها على الطريقين المذكورين وعندما تبين عدم صحة ذلك التصور ، سارعت تلك القيادة إلى نقل قواتها كى تكون فى محازاة القوات الصليبية (٥٦).

ولا مراء فى أن اتجاه الملك ريتشارد إلى ذلك الطريق عكس براعته العسكرية ، فقد توجه صوب الطريق الساحلى من أجل الإفادة من قوة

الأسطول الإنجليزى الممدة له بالمؤن والإمدادات ، ولذلك يمكن القول أنه فرض على الأيوبيين موقع النزال معهم على نحو أعطاه ميزة المبادرة ، وفرض على القيادة الأيوبية أن تبادر بنقل قواتها من المناطق التى توقعت أن الصليبيين سيطرقونها إلى الطريق الجديد التى ارتضته القيادة الصليبية .

أما تفاصيل الصدام الحربى فى أرسوف ، فيمكن تقسيمه من خلال ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى وهى خاصة بتفوق الهجوم الأيوبى ، وإلحاقه الخسائر بالصليبيين الذين اتخذوا جانب الدفاع أما المرحلة لثانية فهى الهجوم الصليبى المفاجئ ، والتحول من الدفاع إلي الهجوم ، وفى المرحلة الثالثة وجدنا الإنسحاب من جانب الجيش الأيوبى إلى غابة أرسوف ، ومحاولة القيادة الأيوبية تدارك الموقف والصمود فى وجه الصليبيين قدر المستطاع ، ومن الممكن ملاحظة أن المراحل الثلاث كانت متواصلة ، ومتعاقبة ، ولا انفصال بينها ، وأملتها الظروف المختلفة المصاحبة لأحداث معركة أرسوف ذاتها . وإن اختلفت المدة الزمنية لكل مرحلة من تلك المراحل ، ومن المتصور أن المرحلة الأولى كانت أطولها جميعًا ؛ بحكم كونها إمتداداً طبيعيًا لنفس الأسلوب الحربى الذى اتبعه الجيش الأيوبى خلال التعامل مع الجيش الصليبى في طريقه إلى أرسوف.

مهما يكن من أمر ، فالملاحظ أن المرحلة الأولي اتسمت بأن الجيش الأيوبى بادر بالهجوم على الصليبيين - على اعتبار أن الهجوم خير وسيلة للدفاع - وكان سلاحه فى ذلك المشاة بأسلحتهم الخفيفة التى

تسمح بقدر أكبر من المناورة وخفة الحركة ، وقد اعترفت المصادر الصليبية ذاتها بأن أولئك الجنود المشاة فى الجيش الأيوبى أمتازوا بأنهم سريعين وخفيفى الحركة ، وقد تسلحوا بالسهام ، واندفعوا أمام الجيش الصليبى ، ولم يتوقف هجومهم . أو رغبوا في أن ينالوا قسطًا من الراحة [٥٧]. وأقرت نفس المصادر فعالية الهجوم الذى شنه المشاة المسلمون ؛ إذ أنهم هاجموا بشدة وعنف على نحو أدى إلى خسارة الصليبيين خسائر فادحة ، وكذلك تساقطت الخيول الصليبية فى أعداد كبيرة صرعى[٥٨] ، ومن الجلى البين من خلال الملاحظة الأخيرة أن قتل الخيول أفقد عدداً من الخيالة الصليبيين مميزات تعاملهم القتالى مع المسلمين وهم يمتطون صهوات الخيول . ثم أن من الممكن تصور أن تلك الخيول منها ما كان يقوم بجر الأمتعة الخاصة بالجيش الصليبى على نحو كان له أثره بصورة أو أخرى على قطار الأمتعة المذكور .

ومن الجلى البين خلال تلك المرحلة الأولى أن الجيش الأيوبي تسيد الموقف ، وأن هجمات عناصر المشاة وصفت بأنها " موجات متلاحقة"[٥٩] أدت إلى إلحاق الاضطراب فى صفوف الصليبيين ، ومن بعد موجة الهجوم بالمشاة ، تدخل الفرسان الترك من أجل أن يوجهوا بسويفهم ضربات للصليبيين ، وكانت أشد الهجمات الأيوبية خلال تلك المرحلة موجهة صوب عناصر الإسبتاريين ، والفلمنكيين ، وكذلك البارونات الصليبيين المحليين ، وكان الهدف من هذا الهجوم القضاء على الجناح الأيسر للجيش الصليبى[٦٠] الذى كان الجيش المسلم يستطيع أن يؤثر فيه بضربات أكثر قوة خاصة أن الجناح الأيمن كان محتميًا بالبحر .

ومع ذلك ؛ ينبغى ألا يتبادر للذهن أن الجيش الأيوبى كان مركزاً فعالياته على الجناح الأيسر للجيش الصليبى فقط ، إذ أنه فى موقف من مواقف الصراع خلال تلك المرحلة الأولى ، أقرت المصادر الصليبية بأن الجيش الصليبى كان محاصراً بصورة كبيرة من جهة اليسار ، ومن جهة اليمين أيضًا(٦١) . غير أن من المتصور أن ذلك الوضع لم يستمر طويلاً بل في مرحلة صغيرة لأنه فى حالة استمراريته على مدى زمني طويل لأثر بصورة أو أخرى على نتيجة الصراع بين الجيشين المتحاربين .

ومن زاوية أخرى ؛ من الملاحظ أن الهجوم الأيوبى خلال ذلك الحين ؛ شمل كذلك قطار الأمتعة الصليبى (٦٢)، من أجل إلحاق أكبر قدر من الخسائر فى عتاد الجيش المعادى ، وتوزيع الهجوم علي أكثر من ناحية دون أن يقتصر على مهاجمة الأفراد فقط ، بل ومعداتهم أيضًا ؛ من أجل بعث أكبر قدر من الفوضى والاضطراب فى صفوف العدو .

وهكذا ، يمكن القول بحق أنه خلال تلك المرحلة من القتال " تأهب المسلمين للقائهم (أى الصليبيين) فأزعجوهم ، وأبلوهم ببلائهم "(٦٣) ، وفى تصور آخر لأحد المؤرخين ذكر أن المسلمين أحاطوا بأعدائهم وأوشكوا أن يقضوا عليهم مثلما حدث من قبل فى معركة حطين(٦٤) عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ .

ومن الجلى البين أن من العوامل التى أدت إلي تفوق المسلمين خلال تلك المرحلة ؛ اتخاذهم أسلوب المهاجمة السريعة الخاطفة لإلحاق أكبر قدر من الخسائر سواء في الرجال أو الدواب والأمتعة واتخاذ الصليبيين جانب الدفاع في مواجهتهم .

ومن الملاحظ ، أنه إذا كان ذلك هو حال المرحلة الأولى من المعركة والتى شهدت اكتساحًا أيوبيًا بالهجوم ، إلا أن المرحلة الثانية لم تكن على نفس شاكله سابقتها على نحو سيكون له أثره على النتيجة الختامية للمعركة .

ولحسن الحظ ؛ لدينا من المصادر الصليبية ، والعربية ما يعكس بجلاء التطور الدقيق للموقف العسكرى بين الجانبين ، وكيف تحولت خطط الصليبيين من الدفاع المنتظم إلى الهجوم المفاجئ العنيف[٦٥] ، على نحو أفاد فى إلقاء الضوء على ملابسات تلك المرحلة .

والواقع أن الملك الإنجليزى كان قد أصدر أوامره لقواته بعدم الرد على هجمات الجيش الأيوبى[٦٦] ، وضبط النفس لأقصى درجة . ولكن ، ما الأسباب الكامنة وراء مثل ذلك الموقف من جانب الملك الإنجليزى ؟ . ومن الممكن أن نجد تعليلاً لذلك فى زاويتين ، الأول ، الرغبة فى امتصاص فعاليات الهجوم الأيوبى إلى أن يصاب الجند الأيوبيين بالإجهاد . وعندئذ يتم مواجهتهم بهجوم صليبى كاسح ، أما الزاوية الثانية ، فهى تتمثل فى الطبيعة الحذرة للصليبيين خلال مواجهاتهم الحربية مع المسلمين ، وهى زاوية كان قد أدركها من قبل أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م) - الخبير بطبائع الصليبيين وأخلاقهم - عندما أوضح أنهم من أكثر الشعوب حذراً عند القتال مع أعدائهم [٦٧]. كما لا نغفل ما أشار إليه أحد المؤرخين مَن أن الصليبيين كانت لهم أسباب أخرى دفعتهم للحذر ، فقد أدركوا أن أية نتيجة لمعركة ما من المعارك الحربية لابد وأن تكون مجالاً للشك ، وعدم التأكد منها [٦٨].

وأن عواقب الهزيمة قد تكون وخيمة فى صورة تزايد أعداد القتلى والجرحى ؛ خاصة إذا مالاحظنا أن الصليبيين أنفسهم عانوا من مشكلة نقص العنصر البشرى ، وأن ارتفاع معدل الفاقد البشرى فى جيوشهم من خلال صراعهم مع المسلمين لم يكن من اليسير أو السهل تعويضه .

وهكذا ، وجدت عدة عوامل مجتمعة أدت إلى ذلك الموقف من جانب الصليبيين فى تأخر ردهم على الهجوم لأيوبى .

علي أية حال ؛ فإن ذلك الأسلوب لم يلق الرضا من جانب بعض القيادات العسكرية الصليبية الأخرى لا سيما هيئة الإسبتارية ، ومنهم جارنيه دى نابلس Garnier de Nablus ؛ الذى اتجه صوب الملك ريتشارد موضحًا له أن جنده ضاقوا ذرعًا بسياسة الدفاع التى انتهجها ، وعدم الرد على الهجوم الأيوبى ، بيد أن الملك الإنجليزى طالبه بالانصياع للأوامر العسكرية والمزيد من ضبط النفس [٦٩].

وإذا كان مقدم الاسبتارية قد التزم بنصائح الملك الإنجليزى إلا أنه لم يتمكن من فرض ذلك على رجاله ، ولذا وجدنا اثنين من عناصر الهيئة ، وهما مارشالها وليم بوريل Wlliam Borrel وكذلك فارس فلمنكى أو نورمانى وهو بلدوين لى كارون Baldwin de Caron لم يتمكنا من الاحجام عن المشاركة فبادرا بالقتال وقتلا فارسين من الأتراك ، وصاحا صيحة قوية تتعلق القديس جورج St . George ، وردد الباقون الصيحة ذاتها ، واشتبكوا مع المسلمين [٧٠]، وعندما لاحظ ريتشارد أن زمام المعركة بدأ يفلت من قبضته أصدر أوامره الفورية بالإصطدام مع المسلمين[٧١] ، والتوقف عن مرحلة الدفاع المنظم وتحويلها إلى مرحلة

الهجوم العنيف . ويقدم لنا شاهد عيان مسلم معاصر أثر الهجوم الصليبى بقوله : " لقد رأيتهم وقد اجتمعوا فى وسط الرجالة ، وأخذوا رماحهم وصاحوا صيحة الرجل الواحد ، وخرج لهم رجالهم ، وحملوا حملة واحدة من الجوانب كلها ، فحملت طائفة على الميمنة ، وطائفة على الميسرة ، وطائفة على القلب ، فاندفع الناس بين أيديهم " (٧٢).

ومن الممكن استنتاج عدة دلالات مهمة خاصة بالنص المذكور ، فالصيحة الواحدة التى أشار إليها المؤرخ المسلم خاصة بالقديس جورج St. George ، وهو القديس الحامى لانجلترا ، كما يلاحظ أن الهجوم كان على الميمنة ، والميسرة ، والقلب بالنسبة للجيش الأيوبى ؛ أى كان هجومًا شاملاً . ولم يختص بقطاع منفرد دون القطاعات الأخرى مما زاد من تأثيره ، وفعالياته ضد ذلك الجيش . وبعث الاضطراب فيه فى كافة الجوانب . ومن الممكن استنتاج أن الأحداث المتصلة بالهجوم الصليبى سارت بسرعة كبيرة ، ولذا من الممكن تصور أن المرحلة الثانية من الصراع امتازت بتلك الصفة وذلك على عكس المرحلة الأولى التى استهلكت وقتًا طويلاً علي مدى مسيرة الجيش الصليبى متجهًا صوب الجنوب .

وقد أدى الهجوم السابق إلي تفرق عناصر الجيش الأيوبى حتى ليقال أن صلاح الدين الأيوبى لم يبق معه فى طلبه سوى سبعة عشر رجلاً فقط من رجاله (٧٣). وهكذا يصدق قول بعض المؤرخين أن تلك المعركة " نال المسلمون وهن شديد " فيها (٧٤).

وأما تلك الملابسات ، والظروف العصيبة ، لجأ المسلمون إلى الاحتماء بأية منطقة توفر لهم ذلك ، فكان اللجوء إلى منطقة

الأشجار[٧٥]، فلجأوا إليها بأعداد كبيرة ، وكان ذلك التوجه له فائدتين، الأولى أنه حماهم من تزايد نسبة القتلى ، والجرحى فى صفوفهم ، والثانى أن الصليبيين تصوروا أن فى الأمر خدعة ما ، وأنه كمين معد من جانب الجيش الأيوبى ، ولذلك لم يلاحقوا المسلمين[٧٦] ، وكان لذلك دوره فى مسار المعركة وتقييمها النهائى .

والآن من الممكن التعرض للمرحلتين معًا ، مرحلة الدفاع من جانب الصليبيين ، ثم مرحلة الهجوم التى قاموا بها ، والعوامل التى تحكمت فى توجيه كل مرحلة .

فبالنسبة للمرحلة الأولى ، تحكم فيها مخطط الملك ريتشارد الدفاعى الذى أراد استهلاك وامتصاص الهجوم الأيوبى حتى تظهر علامات الوهن عليه ، ويزداد اقترابه أيضًا من الجيش الصليبى[٧٧] ، من أجل أن يتمكن الأخير من تحقيق إصابات مباشرة فيه عندما يتحول من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم ، أما المرحلة الثانية فقد تحكم فيها عدم قدرة الفارسين الصليبيين من عناصر الإسبتارية على ضبط النفس والإنصياع لأوامر الملك الإنجليزى على نحو أدى إلى التبكير بشن الهجوم الصليبى على القوات الأيوبية .

ومن الممكن تصور أن ذلك الأسلوب الذى اتبعه ريتشارد من خلال ضبط النفس ، وامتصاص هجمات الخصم ، لم يعتاده بعض عناصر الجيش الصليبى لاسيما هيئة الإسبتارية ، بدليل عدم الرضوخ لأوامره والمبادرة بالهجوم على أفراد من الجيش الأيوبى ، وطبيعى أن تاريخ تلك الهيئة العريق فى الصراع مع المسلمين قد دعم لدى فرسانها روح المبادرة

بالهجوم والاندفاع لقتال أعدائهم . ولاريب أن تلك المبادرة من جانب عناصر الإسبتارية هى التى دفعت بالملك الإنجليزى إلى إعطاء أوامره بالهجوم حتى لايضيع زمام القيادة من يده على نحو ينجم عنه أوخم العواقب بالصليبيين .

أما المرحلة الثالثة ، فقد أتت كرد فعل أيوبى للمرحلة الثانية من جانب الصليبيين ؛ إذ أن السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى وجد جيشه يمثل تلك الصورة ثبت فى ميدان المعركة ، وعمل على تجميع أمرائه وقواته مرة أخرى لشن هجوم آخر على الصليبيين . وقد عمل على دق طبول الحرب وإثارة الحماس فى صفوفهم ، من أجل إعادتهم إلى التماسك من جديد [٧٨]، وقد بذل فى ذلك جهداً مضنيًا ، ولذا فلا أبالغ إذا ما تصورت أن المرحلة الثالثة من الصراع الحربى قامت من خلال ذلك الدور القيادى للسلطان الأيوبى .

والواقع أن هناك من المصادر العربية المعاصرة مايوضح بجلاء أن الجيش الأيوبى عاود مهاجمة الجيش الصليبى : فالعماد الأصفهانى يقرر ما نصه " كرت عليهم نخب الرجال كرة أردتهم وردتهم " [٧٩]، ولايمكن حدوث ذلك ما لم يكن هناك إعادة تنظيم سريع للقوات الأيوبية لكى تعود للعمل بفعالية على الرغم من الظروف العصيبة التى مرت بها ، ولكن من الجلى البين أن ذلك الأمر تم بعد أن كانت الهجمة الصليبية قد نالت من الجيش الأيوبى ، وعلى ذلك يمكن القول بأن المرحلة الثالثة التى مثلت رد الفعل الحربى الأيوبى بعد الهجوم الصليبى المباغت لم تؤت ثمارها على نحو يوحى بأن فعاليات الهجمة الصليبية كانت أكبر من أن يواجهها إعادة تنظيم سريع للقوات الأيوبية .

على أية حال ، كان نتاج ذلك كله : إلحاق الهزيمة بالأيوبيين وانتزاع الصليـبـيين الظفـر من أيديهم ، وعلى الرغم من أن هناك اتفـاق بين المصادر التاريخية العربية والصليبية على أن المسلمين قد منوا فيها بالهزيمة : إلا أن ابن كثير أشار إلى أن النصرة كانت للمسلمين (٨٠). والواقع أن ذلك يخالف ما ذكرته المصادر المعاصرة خاصة تلك التى أرخت للعصر الأيوبى، ومنها مؤلفات لمؤرخين شاهدى عيان .

أما بالنسبة لخسائر كل طرف ، فنجد أن المسلمين والصليبيين أصيبوا بخسائر بشرية من خلال عناصر القتلى والجرحى ، ويلاحظ أن تلك الزاوية ليس من اليسير استقصاؤها على اعتبار عدم وجود أرقام ذات أبعاد إحصائية فى ذلك العصر ، بالإضافة إلى أن طابع المبالغة قد غلب على مصادر كل جانب فى الحديث عن خسائر الخصم .

وهكذا ، ففى تقديرى أن المصادر التاريخية المعاصرة عندما كانت تذكر مقتل أو جرح قيادات معينة فمن الممكن الأخذ بما ورد فيها خاصة إذا ما تردد ذلك لدى مصادر الطرفين معًا ، أما فيما يتصل بالجانب الرقمى فمن الضرورة الحذر حياله وعدم أخذ كل ماورد فى تلك المصادر من دلالات رقمية فيما يتعلق بالخسائر البشرية خاصة فى تقدير المنتصر لخسائر الخصم المهزوم . أما بالنسبة لخسائر المسلمين ، فيقرر رنسيمان ما نصه : " لم تكن خسائر المسلمين كبيرة أيضًا ، ولم يسقط فى المعركة أمير نابه "(٨١) ... بينما خالف ذلك الرأى البير شاندور الذى أشار إلى أن من بين القتلى والجرحى عدد من الأمراء (٨٢).

والواقع أن المصادر التاريخية للعصر الأيوبى تشير إلى بعض أسماء من سقطوا فى المعركة ، وعدد المماليك الكبار البارعين عسكريًا ، ومن

أمثلتهم : قيماز الطويل ، الذى وصفه ابن الأثير بأنه " لم يكن فى زمانه مثله في شجاعته ، وشهامته "[٨٣]، وكذلك من بين الذين قتلوا فى المعركة الأمير شكار موسك ، وأيضًا أبعوش[٨٤] ، ويلاحظ أن إيراد أسماء تلك العناصر الحربية فى نصوص المصادر يعكس أهميتها وخسارة الأيوبيين بافتقادها .

ويقرر أحد المؤرخين الصليبيين أن عدد الأمراء والقادة الذين سقطوا من جانب المسلمين فى المعركة قد بلغ اثنين وثلاثين أميراً وقائداً [٨٥]؛ بيد أن ذلك لايجد دعمًا من المصادر التاريخية العربية ؛ على نحو يجعلنا لا نقبل ماورد فيه أمام صمت تلك المصادر ، بالإضافة إلى الطبيعة العدائية للمصادر الصليبية تجاه المسلمين بصفة عامة .

أما أعداد القتلى من المسلمين فنجد أن أمبروز يشير إلى أنهم قد بلغوا سبعمائة من الجند [٨٦]، بينما اعتقد تشارلز أومان Charles Oman أنهم سبعة آلاف [٨٧]، بينما تصور آخر أنهم بلغوا ثمانية آلاف[٨٨] ، والواقع أن مثل تلك الأرقام - من خلال طبيعتها السالفة الذكر - لايمكن الإرتكان إلى مدلولاتها ، مع ملاحظة أن من المؤرخين البريطانيين المحدثين من سعى إلى المبالغة فى تقييم تلك المعركة ، وكذلك فى تقدير خسائر المسلمين فيها ، من أجل أن يجعلوها تقف بجوار معركة حطين الفاصلة ، لإبراز فعاليات تاريخية أكبر للجيش الإنجيلزي فى تاريخ العصور الوسطى الأوربية لاسيما عصر الصليبيات.

وخير مثال على صحة التصور السابق ، التحديد الذى ذكره المؤرخ تشارلز أومان : إذ من الواضح طابع المبالغة خاصة إذا ما لاحظنا تقدير

المصادر الصليبية لجيش صلاح الدين قد بلغ ٣٠٠٠٠ رجل[٨٩] ، ومن غير المنطقى تصور أن يتم فى المعركة المذكورة القضاء على قرابة ربع الجيش الأيوبى خاصة أنه تسيد المرحلة الأولى من أحداثها ، وفى حالة حدوث ذلك فعلاً لبالغت المصادر الصليبية فى الأمر ، وجاء تصويرها لأحداث المعركة بصورة أكبر دعائية عما أوردته فى نصوصها . ولا تعليل لمثل ذلك التصور لدى أومان وغيره سوى ذلك التوجه السابق الإشارة إليه لدي قطاع من المؤرخين البريطانيين .

أما خسائر الصليبيين فى معركة أرسوف ؛ فنجد أن رنسيمان يقرر أنها كانت من الضآلة مما يدعوا إلى إثارة الدهشة [٩٠]، والواقع أن هذا الرأى لايتفق مع منطق الأحداث التاريخية ، إذ أن المرحلة الأولى التي شهدت اندفاع الجيش الأيوبى بالهجوم كثر قتلى الصليبيين فيها[٩١]، على نحو اعترفت به المصادر الصليبية ذاتها ، كما أن العماد الأصفهانى أقر صراحة أن قتلى الصليبيين كانوا عدداً كبيراً[٩٢] ، وعلى الرغم مما عرف عن ذلك المؤرخ من طابع دعائى وبلاغى واضح فى كتاباته عن السلطان صلاح الدين الأيوبى إلا أن ماورد لدى المصادر التاريخية الصليبية بشأن تلك الزاوية يجعلنا نقبل ما أورده لاتفاقه مع منطق الأحداث ذاتها .

ومن الملاحظ أن الصليبيين قد خسروا فى معركة أرسوف عناصر قيادية ، ومن أبرز القيادات التى سقطت فى ساحة النزال جاك دى أفسين Jacques d'Avesnes وهو الذى أشارت إليه المصادر الأيوبية على أنه جاك أو السير جاك ، وقد صف من جانبها بأنه كند كبير [٩٣]،

ويعبر أحد المؤرخين الصليبيين عن مقتله من خلال إضفاء طابع البطولة عليه ؛ إذ أشار إلى أن جاك قد قتل غير أنه قاوم وهو مترجل المسلمين، كما ذكر أنه وجد بجوار جثته بعد أن قضى نحبه خمسة عشر تركيًا قد قطعوا إربًا ويختتم روايته بالدعاء له بأن يجعله الرب قديسًا فى الجنة[٩٤] .

والجدير بالذكر هنا ، أن رواية المصادر العربية لمقتل تلك القيادة الصليبية مغايرة لما ذكرته المصادر الصليبية ، فعلى حين أشارت الأخيرة إلى أنه وجدت بجوار جثث المسلمين الذين قتلوا من قبل أن يقتل ، نجد أن أحد المؤرخين المسلمين المعاصرين أشار إلى أن الصليبيين عملوا على حمايته فما قتل إلا وكان قد قتل بجواره عدد منهم بذلوا أرواحهم من أجل الدفاع عنه [٩٥]، وذلك هو التصور المنطقى للواقعة ، إذ أن مثل تلك القيادة الصليبية البارزة والتى وصفت بأنها مسموعة الكلمة ، مرهوبة الجانب قبل مقدم الملكين الفرنسى والإنجليزى للمنطقة ، وكان لها نفوذها حتى على الإسبتارية والداوية[٩٦] ، من المتوقع بالضرورة وجود عدد من المدافعين عنها من العناصر الصليبية التى استماتت فى الدفاع عنه ، ويلاحظ أن الملك ريتشارد الأول قد تملكه الفزع لمقتله[٩٧] ، مما عكس ثقل وزنه العسكرى ، وخسارة الصليبيين بفقده .

ونصل الآن إلى زاوية مهمة من البحث ، وهى تتصل بتقييم معركة أرسوف من أجل تحديد موقعها فى تاريخ الحروب الصليبية : خاصة معارك القرن الثانى عشر الميلادى / القرن السادس الهجرى ، وأهم ناحية فى هذا الصدد هى : هل معركة أرسوف معركة حاسمة أم لا .

والواقع أن أحد المؤرخين البريطانيين المحدثين قد أشار إلى أن معركة أرسوف تعد معركة حاسمة ، وأعطت للصليبيين كل الأراضى الساحلية الواقـفـة جنوبى فلسطين[٩٨] ، غير أن هذا التصور لاتؤيده منطقية الأحداث التاريخية ذاتها ، فالدليل على أنها لم تكن حاسمة : أن الصليبيين أنفسهم بعد أن لجأ المسلمون إلى غابة أرسوف لم يتبعوهم وخشوا أن يكون هناك كمين من وراء ذلك الاتجاه . ويقرر أحد المؤرخين المسلمين المعاصرين المعروفين بميولهم للزنكيين ، وتحاملهم – أحيانًا – ضد صلاح الدين الأيوبى أن الفرنج لو علموا أنها هزيمة لتبعوهم واشتهرت هزيمة المسلمين[٩٩] . مما يعكس أنهم أنفسهم لم يتثبتوا – حينذاك – من تلك النتيجة على نحو يدعو إلى القول بعدم حسمها .

ومن زاوية أخرى ، نجد أن الجيش الأيوبى بعد أحداث المعركة ظل يحتفظ بفعالياته الحربية ، وقدراته على الأخذ بزمام المبادرة [١٠٠] ، وفى حالة القول بحسمها لأمر الصراع بين المسلمين والصليبيين حينذاك لما وجدنا ذلك هو وضع الجيش الأيوبى من بعد أحداثها . زد على ذلك؛ أن منطقة أرسوف ذاتها . حيث البحر المتوسط ، والوادى الضيق . والغابات : لا تسمح بوجود معركة حاسمة تحقق مكاسب عسكرية كبيرة لأحد طرفى الصراع ضد الطرف الآخر ، وفى حالة كون أرسوف –جدلاً– فى منطقة متسعة لايعيقها البحر من الغرب والغابات من الشرق لكان من الممكن افتراض توافر الصفة السابقة لتلك المعركة .

أما القول بأن معركة أرسوف جعلت الصليبيين يسيطرون على كافة الأراضى الساحلية جنوبى فلسطين فيحوى مغالطة لأنه يعكس أنهم

تمكنوا بإمكاناتهم الحربية من تحقيق ذلك ، بينما اتجه الجيش الأيوبى إلى التخلى عن بعض مواقعه من خلال استراتيجية دفاعية مميزة ، وخير مثال دال على ذلك ما حدث بالنسبة لعسقلان ، وهو أمر سنوضحه فى موضع تالٍ من البحث .

أضف إلى ذلك ؛ أن سيطرة الأيوبيين علي داخلية فلسطين وعلى نحو خاص بيت المقدس الذى بذل ريتشارد قصارى جهده لإسقاطها دون جدوى ، وعجز الصليبيين عن الاستيلاء عليها بعد معركة أرسوف ، يدل بجلاء على أنها كانت أبعد ماتكون عن الحسم ، ولم تغير خريطة المنطقة على المستوى الجغرافي السياسى والحربي بالصورة التى وجدناها لدي معركة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ والتى أدت بالفعل إلى نتائج حاسمة . وبصفة عامة ، فإذا كان القول بأن أرسوف معركة حاسمة ردده أومان منذ سنوات طوال . فإن ذلك التوجه صار يحاذر حياله عدد من المؤرخين الأوربيين ، وكذلك المسلمين المحدثين [١٠١].

ومن الممكن الآن تناول العوامل المتعددة التى أدت إلي نجاح الصليبيين فى إلحاق الهزيمة بالمسلمين فى تلك المعركة ، وكذلك العوامل التى أدت إلى عجز الجيش الأيوبى عن مواجهة الهجوم الصليبى الكاسح في المرحلة الثانية من الصدام .

والواقع أن من العوامل المهمة التى أدت إلى نجاح الصليبيين فى إلحاق الهزيمة بالمسلمين ، نوعية القيادة الصليبية ذاتها ، إذ أن ريتشارد تمتع بمهارات حربية واضحة ، ولا أدل على ذلك من اتجاهه نحو السير فى الطريق الرومانى Via Romana القديم الموازى لساحل البحر المتوسط

على نحو لم تتوقعه القيادة الأيوبية ذاتها ، ثم خطته فى امتصاص الموجة الأولى من الهجوم الأيوبى إلى أن تضعف وعندئذ يبادر بالمواجهة والتحول من الأسلوب الدفاعى إلى الأسلوب الهجومى ، نقول ذلك على الرغم مما أنصفت به تلك القيادة الصليبية من وحشية ودموية كشفت عنها أحداث صراعها مع المسلمين .

ومن جهة أخرى ، من الممكن ألا نغفل فعاليات الأسطول الصليبى الذى عمل على تقديم المساعدات الحربية فى صورة الرجال والمؤن اللازمة قبيل خوض المعركة ، كما أنه عمل على تأمين الجانب الأيمن للجيش الصليبى ، فإذا أضفنا إلى ذلك ؛ وجود عناصر حربية على كفاءة عالية فى القوات الصليبية خاصة عناصر الرهبان الفرسان كالإسبتارية والداوية؛ وهى من أكفأ العناصر الحربية الصليبية فى قتال المسلمين ؛ لاتضحت لدينا صورة المعركة .

ولا مراء فى أن كافة العناصر السابقة كان لها دورها فى صنع الانتصار الصليبى على الأيوبيين .

أما العوامل التى أدت إلى عجز الجيش الأيوبى عن تحقيق الانتصار، فبالإضافة إلى العوامل السابقة الخاصة بتفوق الجانب الصليبى ، نجد أن هناك عدداً من جوانب القصور لدى الأيوبيين كان لها أثرها فى الإخفاق النهائى . فهناك مثلاً غياب فعاليات الأسطول الأيوبى ، الأمر الذى كان له أثره فى إضعاف قوة المسلمين ، وهكذا ، فعلى حين كان الأسطول الصليبى موجوداً فى صورة تقديم المؤن والإمدادات كان الأسطول الأيوبى غائبًا عن المعركة فلم يقدم إمدادات لقواته . كما لم يقم بإعاقة تقدم القطع البحرية الصليبية .

والواقع أننا ينبغى - مع ذلك - ألا نتوقع فعاليات كبيرة لذلك الأسطول الذى خرج مجهداً من معركة عكا ، ولم يكن بمقدوره مواجهة فعاليات الأسطول الإنجليزى الذى قدم فى صحبة الملك ريتشارد الأول.

ومع ذلك ، فمن الإنصاف التقرير بأن الجيش الأيوبى خاض معارك طاحنة ولم تتوقف تقريبًا إلا لتعود مرة أخرى خاصة خلال الأعوام من عام ١١٨٧ إلي ١١٩١م/ ٥٨٣ - ٥٨٧ هـ فى مواجهته الصليبيين، وقام بدوره الفعال فى جهادهم علي نحو يجعلنا لا ننظر للأمور من خلال نتيجة معركة أرسوف فقط دون الاعتبارات الأخرى .

أما إذا انتقلنا إلى زاوية أخرى من البحث ونعنى بها نتائج معركة أرسوف بالنسبة لطرفى الصراع ، فنجد أنه نجم عنها عدد من النتائج دون أن نبالغ فى حجمها .

أما بالنسبة للصليبيين ، فنجد أن معركة أرسوف عدت بمثابة الانتصار الثانى الذى حققته الحملة الصليبية الثالثة بعدما انجزت انتزاع عكا من أيدى المسلمين ، وأدت نتيجتها إلى رفع معنويات الصليبيين إلى درجة كبيرة [١٠٢]، ومن الملاحظ هنا أن المكاسب المعنوية - فى تقديرى - التى نتجت عن تلك المعركة فاقت غيرها من المكاسب الأخرى.

أما القيادة الصليبية ممثلة فى ريتشارد الأول ، فقد تألق نجمه بصورة كبيرة وبلغت شهرته ذروتها[١٠٣] ، وتأكدت مكانته الحربية على نحو يمكن ملاحظته بجلاء من خلال نصوص المصادر التاريخية الصليبية ذاتها التى كالت له عبارات الإطراء بعد أن حقق إنتصاره المذكور .

فإذا اتجهنا صوب الجانب المسلم ؛ نجد أن تلك المعركة كان لها أثرها النفسى السئ على القيادة الأيوبية ، وكذلك على المسلمين ، ففى إشارة قوية الدلالة يقدمها لنا أحد المؤرخين المعاصرين يوضح أنه كان في قلب السلطان الأيوبى من أثر تلك المعركة ما لايعلمه إلا الله تبارك وتعالي ، وأن الناس كانوا إما في أزمة نفسية أو من المجروحين بدنياً[١٠٤] ، الأمر الذى يعكس لنا أن نتيجة المعركة كانت سيئة علي المستوى المعنوي لدي المسلمين وعلى نحو خاص لدى قيادتهم السياسية والعسكرية .

ويرى أحد المؤرخين الألمان المحدثين أن أسطورة تفوق صلاح الدين قد انهـــارت [١٠٥]، ويرى مؤرخ بريطانى آخر أنه تعرض لمهانة شخصية وإذلالاً عند الناس[١٠٦] ، والواقع أن مثل ذلك التصور فيه مبالغة بعض الشئ ؛ إذ أن تلك الهزيمة لم تستطع أن تنال شيئًا من مكانة القيادة الأيوبية ذاتها في نفوس المسلمين ، فانتصار حطين ١١٨٧م/٥٨٣ هـ ، واسترجاع الساحل وإسقاط القلاع الصليبية وبيت المقدس كانت آثاره لاتزال قـائمـة ، ولم تستطع تلك المعركة - المحدودة النتائج كما أوضحت- أن تنال من مكانة القيادة الأيوبية التاريخية ، التى أثبتت قدراتها القيادية لسنوات طويلة خلت قبل عام ١١٩١م / ٥٨٧ هـ .

وفى تصورى أن الإذلال الحقيقى كان من الممكن أن ينال تلك القيادة فى حـالة أن تؤدى تلك المعـركـة لاسـتـرجـاع بيت المقـدس على أيدى الصليبيين وعندئذ تذهب أدراج الرياح مجهودات كبيرة خاصة بتوحيد الجبهة الإسلامية وثمار ذلك التوحيد ، الأمر الذى لم يحدث ؛ مما ينفى الفكرة أصلاً .

ويرى أحد الباحثين الغربيين – ضمن تقييمه لنتائج معركة أرسوف – أن تيار الحرب الدائرة بين المسلمين والصليبيين والذى صار فى صالح المسلمين منذ سنة ١١٧٠م/٥٦٦هـ ، بدأ يتحول بعد تلك المعركة ليكون فى جانب الصليبيين لمدة طويلة من الزمان تصل إلي منتصف القرن الثالث عشر الميلادى وبالتحديد عام ١٢٥٠م / ٦٤٦ هـ (١٠٧).

والواقع أن هذا القول يحوى مبالغة غير منطقية ، فإذا كانت تلك المعركة لم تحدث فعاليات كبيرة فى المرحلة الزمنية التالية مباشرة ، فكيف يتم التصور بأن فعالياتها امتدت لتشمل قطاعًا زمنيًا أمتد بدوره إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى / السابع الهجرى .

والأمر المؤكد أن قطاعًا من الباحثين الأوربيين أعطى لتلك المعركة حجمًا أكبر مما لها أصلاً ، وتصور لها فعاليات لا تعتمد على واقع تاريخى حقيقي ، وإنما حماس دينى ووطنى . ومن ناحية أخرى ، ينبغى أن نلاحظ أن هناك بعض النتائج التى نتجت عن تلك المعركة على الصعيد الأيوبى وخططه العسكرية ، إذ أن القيادة الأيوبية فى أعقابها اتجهت إلى اتباع سياسة تدمير بعض المواقع الاستراتيجية الخاضعة لسيادتها حتى لاتقع فى قبضة الصليبيين على نحو يجعلهم يحققون مكاسب عسكرية على أرضية الصراع ، ولا أدل على ذلك من أن تلك القيادة اتجهت إلي عقد اجتماع مهم مع باقى القادة العسكريين من أجل تقرير أمر مدينة عسقلان .

والواقع أن الصليبيين قد نزلوا بيافا ، وهى ميناء بيت المقدس ، وأيقن المسلمون أن أعدادهم إذا ما وصلوا إلى عسقلان أخضعوه

لسيطرتهم مثلما وقع الأمر فى عكا من قبل [١٠٨]، ومن المتصور أن الصليبيين أرادوا من الاستيلاء عليها الضغط العسكرى على بيت المقدس ، وكذلك الضغط السياسى على الأيوبيين وإشعارهم بأنه لاجدوى من استمرار الصراع العسكرى بعد سقوط معاقلهم الواحد تلو الآخر ، ولاريب فى أن ذلك كله يعكس لنا أهمية عسقلان خلال تلك المرحلة على نحو خاص فى الصراع الإسلامى - الصليبى .

ومن المنطقى تصور أن الجيش الأيوبى لم يكن من اليسير أمامه أن يحصن عسقلان ويجعلها مركزاً لصراع عسكرى مرتقب بعد أحداث عكا ، وأرسوف ، لأن قيادته نظرت إلى قضية بيت المقدس على أنها الهدف الأكثر خطورة الذى ينبغى المحافظة عليه وحرمان الصليبيين من اخضاعها لسيادتهم ولذلك صدر القرار بتخريب المدينة حتى إذا ما وصل إليها الأعداء وجدوها أطلالاً [١٠٩]، وقد تم بالفعل إخلاء سكان عسقلان منها ثم تدميرها في يوم ١٢ سبتمبر ١١٩١م / ١٩ شعبان ٥٨٧هـ [١١٠]، أى بعد خمسة أيام فقط من الصدام الحربى فى أرسوف مما يدعم الاعتقاد بأن سياسة التخريب حدثت بعد تلك المعركة مباشرة وبصورة مكثفة ، وعكست حجم السياسة الدفاعية التى اتجه إليها صلاح الدين وإصراره على منع الصليبيين من اكتساب أرض جديدة بمرافقها ومظاهرها العمرانية المتعددة ، ولاشك فى أنه فى ذلك الأمر كان فى سباق محموم مع الزمن من أجل إنجاز هدفه الذى اضطر إليه اضطراراً من خلال وقائع الصراع الحربى مع الصليبيين .

وقد قسم السلطان الأيوبى مبانى المدينة على أمرائه من أجل أن يتولى كل منهم تدميرها [١١١]، وقد حث هو وابنه الأفضل نور الدين

على باقى أهل عسقلان على تخريبها قبل أن يصل إليها الصليبيون[١١٢] ، وبالفعل اكتمل تدميرها كما دمر مراكز أخرى مجاورة فهناك إشارات واضحة تفيد إلى أنه دمر اللد ، وقلعة الرملة ، وقلعة النطرون[١١٣] ، مما يعكس أن التخريب حينذاك شمل المدن والقلاع وأنه لم يكن قاصراً على عسقلان ، وإن أبرزت المصادر المعاصرة الإسلامية كانت أم الصليبية أمر تلك المدينة بالمقارنة بالمراكز الأخرى لما لها من أهمية خاصة .

وكانت المرحلة التالية بالنسبة لتعامل القيادة الأيوبية مع الأحداث المتلاحقة من جراء تقدم الحملة الصليبية الثالثة للمنطقة ترتبط بالاهتمام بأمر بيت المقدس وزيادة دفاعاتها[١١٤] ، من أجل قصر نجاحات الجانب الصليبى على جنوب الساحل الشامى وعدم امتداده شرقًا صوب المدينة المقدسة .

وفى هذا المجال نعرف أن السلطان الأيوبى قد عمل على تحصينها وعمارة أسوارها ، وحفر عدداً من الخنادق ، وحمل هو نفسه الحجارة ، وكذلك أولاده ، والأمراء ، والعلماء ، والجنود [١١٥]، كما أنه سعى إلى هدم ماكان حول المدينة المقدسة من صهاريج وآبار[١١٦] ، حتى يحرم الصليبيين إذا ما أتوا إليها من أية موارد لقواتهم عند حصارها .

والحقيقة أن احتفاظ المسلمين فى غمار كل تلك الأحداث العصيبة بمدينة بيت المقدس أدى إلى إجهاض الحملة الصليبية الثالثة ، ولم تستطع معركة أرسوف وانتصار الصليبيين فيها أن ترفع رأس تلك الحملة التى تأكد إخفاقها فى تحقيق الأهداف التى كانت مرجوة منها

على نحو جعل نتائجها متواضعة [١١٧]، ولا تصل إلى حجم الآمال الكبار التى علقت عليها باشتراك أباطرة وملوك ألمانيا وفرنسا وانجلترا.

وننتقل الآن إلى تساؤل جدير بالأهمية وهو خاص بأثر معركة أرسوف على صلح الرملة الذى وقع بين الطرفين المتحاربين فى ٢ سبتمبر ١١٩٢م/ ٢٢ شعبان ٥٨٨ هـ ، وعما إذا كان لتلك المعركة أى أثر على عقده خاصة أنها المعركة الحربية الكبيرة السابقة عليه .

والواقع أن صلح الرملة عقد بعد عام واحد تقريبًا من معركة أرسوف، ونص على أن تكون هناك هدنة شاملة بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات ، وثلاثة أشهر - على الأرجح - وثلاثة أيام ، ويحصل الصليبيون بمقتضاه على المنطقة الممتدة من يافا إلى عكا ، وأن تكون اللد ، والرملة مناصفة بين الجانبين وأن يتم ترك عسقلان مخربة ، وقد تدخلت الإسماعيلية النزارية فى الصلح من الطرف الإسلامى ، وأنطاكية وطرابلس من الطرف الصليبى [١١٨].

ولاريب فى أهمية ذلك الصلح باعتباره قد انهى مرحلة حربية مريرة بين الجانبين ، كما أنه لاينص فيه على إعادة بيت المقدس للصليبيين ، على الرغم من كافة مجهوداتهم الحربية السابقة ، وإن أعطى قسمًا من الساحل للصليبيين وأبقى على الأمر الواقع Ipso Facto بالنسبة لتخريب عسقلان .

والتساؤل هنا خاص بإمكانية أن يكون هناك تأثير لهزيمة المسلمين فى أرسوف على عقد ذلك الصلح . ومن المرجح - وفقد تقديرى المتواضع - أن هزيمة أرسوف لم يكن لها التأثير المباشر على عقده ، على

اعتبار أن الفاصل الزمنى بين الحادثتين عام كامل ، وفى حالة وجود ذلك التأثير - على سبيل الافتراض - لكان قد عقد صلح الرملة فى أعقابها مباشرة كتعبير عن عجز الأيوبيين عن مواصلة الحرب ولجوئهم إلى البديل الدبلوماسى مع أعدائهم ؛ الأمر الذى لم يحدث من خلال تسلسل الأحداث التاريخية ذاتها .

وهناك تصور آخر من الممكن الأخذ به فيما يتصل بنظرة الصليبيين لواقع الأحداث ؛ إذ أن إخفاق معركة أرسوف فى إحداث أية تغييرات كبيرة على خريطة الصراع الصليبى مع المسلمين ، كل ذلك يجعلنا نتصور أن تلك المعركة والأحداث التالية لها ؛ من المرجح أنها اقنعت القيادة الصليبية بأن الاستمرار فى الصراع الحربى مع أعدائها لن يؤدى إلى تحقيق مكاسب جديدة ، وأن المكسب الأكبر للحملة ذاتها تمثل فى استعادة عكا ، وهو أمر لم يتأت إلا بعد جهد جهيد ، ومن ثم كان الخيار الدبلوماسى أمراً لامفر منه ، عندما تعجز الجيوش المقاتلة عن تحقيق تفوق عسكرى لصالح أحد الأطراف علي حساب الآخر ، وعندما يكون الموقف العسكرى والسياسى متوازنًا ، عندئذ يكون الخروج من دائرة الصراع من خلال الدبلوماسية ، ويلاحظ أنه طوال العام المذكور الواقع بين معركة أرسوف ، وصلح الرملة نشطت الجهود الدبلوماسية الأيوبية ، وكذلك الصليبية من أجل التوصل إلى اتفاق ما متوازن يوفق بين تطلعات كل طرف .

والدليل الآخر على أن المعركة لم تؤثر علي المسلمين وقيادتهم بل على الطرف الآخر الصليبى نفسه ، أن الاجتماع الذى عقد فى دير

الرهب - السالف الذكر - والذى أظهر فيه الصليبيون تشدداً واضحًا ، وكان نصيبه الفشل لرفض الأيوبيين لشروط أعدائهم ، عاد الصليبيون من بعد عام من معركة أرسوف ليوافقوا على جوانب ونصوص رفضوها من قبل فى الاجتماع المذكور ، إذ أن الصلح أكد على بقاء عدة مناطق بخلاف المنطقة الواقعة بين يافا وعكا فى قبضة المسلمين ، كما أنه لم يقدم بيت المقدس لقمة سائغة للصليبيين ، وكانت مطلبًا ملحًا للأخيرين فى تل الراهب .

نخلص من ذلك ، أن انتصار الصليبيين المحدود فى أرسوف لم يكن له أثره فى إضعاف القيادة الأيوبية على نحو يجعلها تقدم تنازلات فى صلح الرملة بل استمر تماسك تلك القيادة ، وإصرارها على موقفها فى رفض كل ما يعارض مصالح المسلمين الإستراتيجية العليا .

ولا نغفل أهمية عنصر خارجى ، فى صورة تطور الأحداث السياسية فى إنجلترا التى ألحت على الملك الإنجليزى ريتشارد الأول بالعودة إلى هناك [١١٩]، من أجل مواجهة الصراع مع ملك فرنسا فيليب أغسطس الذى كان يتحرق شوقًا لضم نورمنديا Normandy للسيادة الفرنسية ، وكذلك كان على الملك الإنجليزى مواجهة مؤامرات أخيه يوحنا ، ولا ريب فى أن ذلك كله دفع بذلك الملك إلى قبول ما رفضه من قبل .

من ناحية أخرى ، يحسن بنا أن نعمق دراستنا لمعركة أرسوف من خلال المقارنة بينها وبين معركة أخرى خاض غمارها الجيش الأيوبى على أرض فلسطين فى صورة معركة الرملة التى جرت عام ١١٧٧م/٥٧٣ هـ، ويدعم مشروعية المقارنة وجود عدة جوانب اتفاق واختلاف بينهما ، كما أن الفارق الزمنى بينهما لايتجاوز أربعة عشر عامًا فقط .

وبداية من الضرورة بمكان التعرض بصورة موجزة لمعركة الرملة من أجل إدراك ملابساتها .

فالملاحظ أنه بعد أن أطمأن صلاح الدين الأيوبى إلى سلامة جبهته الداخلية ، اتجه إلى انتهاز فرصة انشغال جيش مملكة بيت المقدس الصليبية فى شمال الشام من أجل مهاجمة حماه وحارم ، وأراد أن يوجه ضربة حربية للصليبيين فى عقر دارهم ، ولذا غادر بقواته القاهرة فى نوفمبر ١١٧٣م / جمادى الأول ٥٧٣ هـ ، واتجه صوب فلسطين[١٢٠] ، ونزل على عسقلان التى كان الصليبيون يخضعونها لسيطرتهم منذ عام ١١٥٣م / ٥٥٣ هـ ، وقد تمكن من أسر عدد من جنودهم وأمر بضرب أعناقهم [١٢١].

والواقع أن الجيش الأيوبى ، لم يلق أية مقاومة صليبية جديرة بالذكر، وتفرق الجنود من أجل جمع الغنائم ، ثم قام صلاح الدين بتجميع قواته ، وتقدم نحو مدينة الرملة ، واعترض نهر تل الصافية ، وتفرق الجند للبحث عن موضع يصلح لعبوره ، وبينما هم كذلك ؛ باغتهم الصليبيون بهجوم كاسح [١٢٢]، وكان الأمير الصليبى رينودى شاتيون Renauld de Chatillon المعروف فى المصادر الصليبية باسم إرناط يقود الصليبيين فى تلك المعركة [١٢٣]، ومعه الملك الصليبى بلدوين الرابع Baldwin IV [١٢٤](١١٧٤ - ١١٨٥م / ٥٧٠ - ٥٨١ هـ) ، ويقدم لنا المؤرخ الصليبى وليم الصورى ، معلومات ضافية عن تلك المعركة التى من الجلى البين خلالها ، تقهقر الجيش الأيوبى فى انسحاب مضطرب وغير منظم مصابًا بخسائر كبيرة ، وكان حلول الظلام الذى أرخى سدوله عاملاً فعالاً فى إنقاذ عناصر الجيش المذكور من مطارديهم

من الصليبيين ، وقام الجنود الأيوبيين الأكثر قوة والذين كانت معهم خيول سريعة بإلقاء أسلحتهم وعتادهم ، وألقوا أحمالهم من أجل أن يسهل عليهم الفرار [١٢٥]. وقد عبر صلاح الدين الأيوبى الصحراء ، ولاقى من المتاعب الشئ الكثير فى طريق عودته ، ووصل بقواته إلى القاهرة سالمًا[١٢٦] بعد تلك الأحداث العصيبة .

والجدير بالذكر هنا ، أن تلك المعركة كانت بمثابة نقطة تحول مهمة فى سياسة الأيوبيين الاستراتيجية تجاه مملكة بيت المقدس الصليبية ؛ فقد وضح للسلطان الأيوبى بجلاء صعوبة اتخاذ مصر قاعدة للإنطلاق ضد المملكة الصليبية وذلك نظراً لبعد المسافة ولصعوبة تأمين خطوط الإمداد والتموين لقواته ، وبناء على ذلك قرر الإنتقال إلى مدينة دمشق واتخاذها قاعدة لعملياته الحربية ضد الصليبيين [١٢٧].

ومن الملاحظ أن معركة الرملة تتفق مع معركة أرسوف فى بعض الزوايا ، وتختلف عنها فى البعض الآخر .

فمن مظاهر الاتفاق بينهما أن كلتاهما جرت على أرض فلسطين ، كما أن كلتاهما كانت تحت قيادة السلطان صلاح الدين الأيوبى ، كما أن الهزيمة لحقت فى كل منهما بالجيش الأيوبى ، مع عدم اتصاف أى منهما بصفة الحسم .

أما جوانب الاختلاف ، فهى متعددة ، فالملاحظ أن القوات الصليبية فى معركة الرملة كانت متمثلة فى إمكانيات الصليبيين المحليين فى بلاد الشام ، بينما فى معركة أرسوف كانت تدعم صليبيى الشام قوات أوربية فى صورة عناصر الفرنسيين والإنجليز ممن خدموا خلال الحملة الصليبية الثالثة .

زد على ذلك ، أنه فى عــام ١١٧٧م / ٥٧٣ هـ لم يكن الجــيش الأيوبى قد حقق انتصارات حربية بارزة ضد الصليبيين تؤكد فعالياته الحربيـة أمـا فى عـام ١١٩١م / ٥٨٦ هـ فـإنه كـان قـد حـقق أعظم انتصاراته فى صورة معركة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ .

ومن ناحيـة أخرى : نجد أن معـركة الرملة لم نجد فـيهـا فـعاليات تصادمية حربية حقيقية للجيش الأيوبى ضد الصليبيين : إذ أنها - كما وضح فى العرض الموجز السابق - عبارة عن عمليات سلب ونهب لأملاك الصليبيين ، ثم انسحاب وتقهقر غير منظم على نحو أدى إلى إلحاق الخسائر بالجانب المسلم ، أما فى أرسوف : فمن الجلى البين أن المرحلة الأولى من المعركة تقدم فيها المسلمون بصورة واضحة كما أسلفت القول من قبل .

وأخيراً ، من الممكن ملاحظة أنه فى معركة الرملة كانت هناك قيادة صليبية معروفة على المستوى الحربى فى صورة إرناط ، أما معركة أرسوف : فقد اختفت فيها تلك القيادة : نظراً للفتك بها فى أعقاب معركة حطين .

وختـامًا للدراسة ، من الممكن إيراد عدد من النتـائج التى خلصت إليها وهى كالآتى :

أولاً : حـاول عـدد من البـاحـثين الغـربيين تضخيـم معركـة أرسـوف والنتـائج التى نتجت عنها من خلال توضيح أنها كانت معركة حاسمة أثرت بصورة كبيرة على الصراع الإسلامى - الصليبى : لصالح الصليبيين ، غير أنه من خلال الصفحات السابقة أمكن معارضة ذلك التوجه ورفض فكرة أنها معركة حاسمة ، كما أنها

لم تسفر عن نتائج فعالة في ذلك الصراع ، ومن المرجح - فى هذا الصدد - أن المؤرخين الغربيين - ولا سيما البريطانيين منهم - حرصوا على إضفاء هالة من التألق والجدارة الحربية الغير عادية بشخص الملك ريتشارد الأول من أجل جعل معركة أرسوف تناطح معركة حطين رغم البون الشاسع بينهما .

ثانيًا : لم يكن لمعركة أرسوف تأثير على صلح الرملة الذى وقع بين الطرفين الإسلامى ، والصليبى ، وفى حالة كون تلك المعركة لها ذلك التأثير وتلك الفعالية لاستطاع الصليبيون الحصول على مكاسب أكبر من تلك التى حصلوا عليها من خلال نصوص الصلح نفسه .

ثالثًا : من الموضوعية أن نقرر أن انتصار الصليبيين فى معركة أرسوف قد جاء من خلال كونه انتصاراً سريعًا وخاطفًا ، ولم تتمكن القيادة الأيوبية من تجميع قواتها من جديد من أجل مواصلة الصراع مع أعدائها . ومع ذلك ، أمكن للجيش الأيوبى اتباع سياسة دفاعية فى أعقابها ولم يمكن ذلك الانتصار الصليبيين من استعادة بيت المقدس على نحو عكس محدودية فعاليات المعركة المذكورة ، وهكذا فإن الهدف الأصلى المعلن عن مقدم الحملة الصليبية الثالثة لم تستطع أن تحققه وباءت بالفشل المبين .

ذلك عرض لمعركة أرسوف ١١٩١م / ٥٨٧ هـ باعتبارها إحدى معارك الصراع الإسلامى الصليبى .

الهوامش :

١ - عن معركة حطين انظر :

ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٧٥ - ص ٧٩ ؛ العماد الأصفهانى ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد صبيح ، ط . القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٨١ .

Eracles, L'Estoire d' Eracle Empereur et La Conqueste de la Terre d' Outremere , in R.H.C., Hist . Occ., T.I , pp. 68 - 71 .

Richard, " La bataille de Hattin , Saladin defait L' Occident , H., T.XLVII, Année 1982 , pp . 104 - 111 , Fuller , Decisive battles of Western Europe and Their influences upon History , London 1954 , p . 427 .

٢ - عن دور فردريك بارباروسا فى الحملة الصليبية الثالثة انظر :

Otto of St. Blasion , The Third Crusade 1183 - 1190 , From The chronicle of Otto of st . Blasion , in Thatcher , Source Book of Medieval History , New york 1902 , pp . 529 - 535 .

٣ - غرق فى نهرس كيدنس Cydnus من أنهار كيليكيا Cilicia فى آسيا الصغرى Asia Minor فى ١٠ يوليو عام ١١٩٠م / ٥ جمادى الأولى ٥٨٦ هـ ، عن ذلك انظر :

Otto of St. Blasion , p. 535 .

وأحيانًا يورد الاسم على أنه نهر الفاتر ، كما لدى ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، جـ ٣ ، تحقيق سامى الدهان ، ط. دمشق ١٩٦٧م ، ص ١١٤ ، أو نهر اللامس كما لدى لسترانج

Le Strange, The lands of the Eastern Caliphate, Mesopotamia, Persia and Central Asia From the Moslem conquest to the time of timur , London , 1966 ., p . 141 .

٤ - عن دور ريتشارد الأول فى تلك الحملة انظر :

Richard of Devizes, Crusade of Richard Coenr de Lion, in Chronicles of the Crusades, London 1908 , Geoffrey of Vinsauf , Crusade of Richard Coeur de Lion , in Chronicles of the Crusades, London 1908, Ambroise, The Crusade of Richerd Heart of Lion , Trans , by Hubert , New York 1943 .

زينب عبد القوى ، الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩ - ١٢٩١م، ط . القاهرة ١٩٩٦ ، ص ١٢٢ - ١٣٧ .

٥ - عن ذلك انظر :

ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٧١ ؛ المقريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ / ق ١ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ط . القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٦ ، ط . القاهرة ١٩٣٦م ، ص ٤٥ .

Ambroise , p . 229 .

Lane Poole , Saladin and The Fall of the latin Kingdom of Jerusalem , London 1898 , p. 293 .

٦ - عن موقع أرسوف انظر :

Guide Book to palestine , Trans. by J.H. Bernard, P.P.T.S., vol . V , London 1897 , p . 34 .

المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق دى جويه ، ط . ليدن ١٩٠٩م ، ص ٥٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ط . بيروت ١٩٧٧م ، ص ١٥١ - ص ١٥٢ ؛ ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامى الدهان ، ط . دمشق ١٩٦٢م ، ص ٢٥٣ ، حاشية (١) ؛ أبو الفداء ،

تقـويم البلدان ، تحقـيق رينو ودى سـلان ، ط . باريس ١٨٤٠م ، ص ٢٣٨ – ص ٢٣٩ ، شيخ الربوة الدمشقى ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ، ط . بطرسبرج ١٨٦١م ، ص ٢١٣ .

٧ – هاملتون جب ، " أرسوف " دائرة المعارف الرسلامية ، ت . إبراهيم خورشيد وآخرون . ط . القاهرة ب . ن ، ص ٦٠٠ .

٨ – Saewulf , Pilgrimage of Sawulf , Trans . by Bishop of Clifton , P.P.T.S., vol . IV, London 1896 , p. 27 .

٩ – Ibid, p. 27 .

١٠ – Daniel , Pilgrimaye of the Russian Abbot Daniel in The Holy Land, Trans. by Wilson P.P.T.S., vol . IV, London 1895 , p. 54 , Theoderich, Description of The Holy Land , Trans. by. Aubrey Stewart , P.P.T.S. vol . V , London 1890 , p. 64 .

١١ – ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ط . بيروت ١٩٧١م ، ص ٣٢٦ ، بسام العسلى ، فن الحرب الإسلامى أيام الحروب الصليبية ، ط . بيروت ١٩٨٨ ، ص ١٦٤ .

١٢ – جنفياف شوفيل ، صلاح الدين بطل الإسلام ، ت . جورج أبى صالح . ط . بيـروت ١٩٩٢ ، ص ٤٠٧ ، أيضًـا : انظر الخريطة فى ختـام البـحث نقـلاً عن أومان.

١٣ – عن تلك الأنهار انظر الخريطة الموجدة لدى

Ambroise , p . 229 .

ويلاحظ أن ياقوت الحموى أشار إلى نهر أسماه العوجاء وحدده بأنه بين أرسوف والرملة ولم استطع تحديده على الخريطة ، وأن كان من الواضح من خلال تلك الإشارة أنه وقع إلى الجنوب من أرسـوف وبالتـالى فـمن المفـتـرض أنه لم يدخل فى نطاق

توسعات الجيش ، عن إشارته ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى ، ط . بيروت ١٩٩٠م ، ص ١٨٨ .

١٤ - عبد الهادى شعيرة ، " الرملة ورباطاتها السبعة " ، المجلة التاريخية المصرية ، م (١٥) ، عام ١٩٦٩م ، ص ٤٣ .

١٥ - السمعانى ، الأنساب ، جـ ١ ، ط . بيروت ب . ت ، ص ١١٢ ، ومنهم أبو يحيى زكريا بن نافع الأرسوفى ، وقد روى عن سفيان بن عيينه ، وعباد بن عباد وروى عن يعقوب بن سفيان الفارسى : نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

١٦ - Fulcher of Chatres, A History of The Expedition to Jerusa-lem , Trans by Rita Rian , Tennesse 1969 , p. 152 .

حسن عبد الوهاب ، تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى ، ط . الأسكندرية ، ١٩٩٠ ، ص ٦٢ .

١٧ - Fulcher of Chartres , p . 152 .

أيضًا : فايد حماد عاشور ، جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية ، ط . بيروت ١٩٨٥م ، ص ١٢١ .

١٨ - Fulcher of Chartres, p . 152 , William of TYre , AHistory of the deeds done beyond The Sea , vol . I , Trans . by Babcok and Krey , New York 1943 , p. 434 - 445 .

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط . بيروت ١٩٠٨م ، ص ١٣٩ ؛ ميخائيل زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ، ت . الياس شاهين ، ط . موسكو ١٩٨٦م ، ص ١٢٩ ؛ فهمى توفيق مقبل ، الفاطميون والصليبيون ، ط . بيروت ١٩٧٩م ، ص ٨٢ .

١٩ - Prawer, Crusader Instituions, Oxford 1980 , p. 154 .

٢٠ - العماد الأصفهانى ، البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، تحقيق كلود كاهن B . E . O . , T . VII - VIII Années 1957 - 1958 ، ص ١٤٦ .

مـصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ، جـ ٤ / ق ٢ . ط . بيـروت ١٩٧٢م ، ص ٣٥١ .

٢١ – ابن الأثيـر ، الكامل فى التـاريخ ، جـ ٩ ، ط . بيـروت ١٩٦٧م ، ص ٢١٥ .

ويلاحظ أن المؤرخ الصليبى جوفرى أوف فـينزوف يقرر أن الأتراك (ويعنى بهم المسلمين) رموا السهام على الجنود كالمطر أو البرد المتسـاقط من السمـاء ويقول ما مـعناه يا لعـدد الخيـول التى تسـاقطت ويا لأولئك الرجـال الذين سـقطوا من جراء جراحهم.

عن ذلك انظر :

Geoffrey of Vinsauf, p . 232 .

٢٢ – ابن واصل ، مـفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٢ ، تحقيق جـمـال الدين الشيـال ، ط . القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٣٦٥ – ص ٣٦٦ .

٢٣ – Sanail , Crusading warefare (1097 - 1193) , Cambridge 1956, p . 156 .

٢٤ – Ibid , p . 157 .

٢٥ – Geoffrey of Vinsauf, p . 231 .

وفى هذا الصـدد نجد أن هناك نوعًا مـعـينًا من السـهام يتردد ذكـره فى مصـادر العـصر الأيوبى على نحو خاص ، وهو الزنبورك وهو سـهم فى سمك الإبهام ، وطوله مقـدار ذراع وله أربع أوجه ، وله طرف من الحديد ، وهو أيضًا ذو ريش من أجل أن يكون أكـثـر ثباتًا عند الإنطلاق ، وقـد وصف الزنبورك بـأنه أينمـا سـقط فإصـابتـه مـؤكـدة ، ويقـال أنه يخـترق درع لجندى وملابسـه ، وبإمكانه كذلك إصابة أحجـار الأسـوار ، والجدير بالذكر هنا أن الزنبـورك سـمى بهـذا الاسم لأنه يشبـه فى صـوت إنطلاقه صوت حشرة الزنبور .

عن الزنبورك انظر :

الطرطوسى ، تذكرة أرباب الألباب ، تحقيق كاهن B.E.O., T. XII, Années 1948 - 1947 ؛ ص ١٥٣ - ص ١٥٤ ، ابن واصل المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ ، حاشية (٤) .

٢٦ - Smail , p . 156 .

٢٧ - ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٢١٥ .

٢٨ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

٢٩ - ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ .

٣٠ - ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ .

٣١ - النوادر السلطانية ، ص ١٨٢ ، محمود الحويرى ، العادل الأيوبى ، صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية ، ط . القاهرة ١٩٨٠م ، ص ٣٧ .

٣٢ - ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

٣٣ - ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ .

٣٤ - ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ ؛ رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ٢ . ت . السيد الباز العرينى ، ط . بيروت ١٩٨٠م ، ص ١٠٩ ؛ البير شاندور ، صلاح الدين الأيوبى البطل الأنقى فى الإسلام ، ت . سعيد أبو الحسن ، ط . دمشق ١٩٨٨م ، ص ٣٤٣ ، محسن محمد حسين ، الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين ، ط . بيروت ١٩٨٦م ، ص ٤٧٣ .

٣٥ - ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ .

٣٦ - نظير حسان سعداوى ، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى ، ط . القاهرة ١٩٦١م ، ص ٣٦ - ص ٣٧ .

٣٧ - Runciman , A History of The Crusades , Vol. III, London 1971, p . 54 - 55 .

٣٨ - Ambroise , p. 200 , Note (11) .

٣٩ - Ibid , p . 250 , Note (20) .

٤٠ - Ibid , p . 250 , Note (21) .

٤١ - Ibid , p . 251 .

٤٢ - Ibid , p . 257 , Note (24) .

٤٣ - Runciman, Vol . III , p . 35 .

٤٤ - Geoffrey of Vinsauf, p . 233 .

والجدير بالذكر أن اشتراك الشخصيات الدينية فى حروب أوربا فى العصور الوسطى كان أمراً معتاداً حتى فى معارك الأوربيين على أرض الغرب الأوربى ذاته ، وليس على أرض بلاد الشام فقط ، ومن ذلك ما نعرفه من أن كبير أساقفة ترپين Turpin قام بدور قتالى بارز خلال أحداث مواجهة شارلمان Carolus Magnus وقواته لعناصر الباسك فى شمال أسبانيا كما صورت ذلك أنشودة رولان La Chanson de Roland ، ومن جهة أخرى نجد فى موشاة Tapestry بايوه Bayeaux من الملاحظ أن أسقف أودوْ Odo من بايوه يقاتل فى معركة هاستنجز Hastings عام ١٠٦٦ م / ٤٥٩ هـ والتى وقعت بين قوات وليم دوق نورمينديى - وليم الفاتح William The Conqueror - فيما بعد ، وقوات هارولد Harold ملك انجلترا السكسونى حينذاك أما أمثلة وجود عناصر رجال الدين فى معارك الصليبيين فى بلاد الشام فنجده فى صورة معركة الرملة عام ١١٧٧م / ٥٧٣هـ . ، عن ذلك انظر:

William of Tyre , Vol . II , p . 430 .

شين ماك جلين ، " بعض الأوهام عن التكتيك الحربى في العصور الوسطى " ؛ ت . اسحق عبيد ، مجلة الثقافة العالمية ، العدد (٦٥) ، يوليو ١٩٩٤م ، ص ٥٣،

جوزف داهموس ، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى ، ت . محمد فتحي لشاعر ، ط . القاهرة ١٩٩٢م ، ص ٩١ .

٤٥ – محسن محمد حسين ، المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

٤٦ – نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصري فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، ط . القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٢١٦ – ص ٢١٧ .

٤٧ – العماد الأصفهانى ، المصدر السابق ، ص ٥٤٧ .

٤٨ – ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

٤٩ – ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ .

٥٠ – Ambroise , p. 262 .

٥١ – Ibid, p . 262 , Note (29) .

٥٢ – ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ ، ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٧ ، مجير الدين الحنبلى ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جـ١ ، ط . عمان ١٩٧٣م ، ص ٣٧٩ .

٥٣ – الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جـ ١ ، ط . بيروت ب. ت ، ص ١٩١ .

٥٤ – ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جـ ٩ ، تحقيق إحسان عباس ، ط . بيروت ١٩٦٧م ، ص ١٦٧ .

٥٥ – نظير حسان سعداوى ، المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

٥٦ – نفسه ، نفس المرجع ، ص ٢٦٧ .

٥٧ – Ambroise, p. 252 .

٥٨ – Ibid, p . 253 .

السيد الباز العرينى ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ط . القاهرة ١٩٦٣م ، ٩٦٣ .

٥٩ - Runciman , Vol . III , p . 56 .

٦٠ - Ibid , p . 65 .

٦١ - Ambroise , p . 253 .

٦٢ - Ibid , p. 254 .

٦٣ - أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩١ .

٦٤ - سعيد عاشور ، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك ، ط . بيروت ١٩٧٢ ، ص ٥٩ .

٦٥ - عبد الرحمن زكى ، الجيش المصرى فى العصر الإسلامى من الفتح العربى إلى معركة المنصورة ، ط . القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ١٤٨ .

٦٦ - Ambroise, p. 257 .

٦٧ - الاعتبار ، نقلاً عن . Smail, p. 138

٦٨ - Smail, p. 138 .

٦٩ - Ambroise, p. 257, Geoffrey of Vinsauf , p. 234 .

٧٠ - Geoffrey of Vinsauf , p. 238 - 239 .

والقديس جورج St. George ، وهو جورج الشهيد عاش بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، واعتبر القديس الحامى لانجلترا ، ويعد أحد أكبر الشهداء المسيحيين شهرة فى عهد المسيحية المبكرة ، ومن المحتمل أنه قتل فى اللد Lydda فى أخريات القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الميلاديين ، ونسجت حوله أسطورة عرفت بأسطورة القديس جورج ، ويقال أنه قتل تنيناً ، وهناك من يرى أن قصة التنين وارتباطها بذلك القديس قد أضيفت إلى أسطورته فى أخريات العصور الوسطى ، أما ارتباط ذلك القديس بانجلترا فيلاحظ أن اسمه كان معروفاً في انجلترا

وإيرلندا منذ أمد بعيد سابق على الغزو النورمانى فى عام ١٠٦٦م ، ومن المحتمل أن الصليبيين العائدين من بلاد الشام قد ساهموا في دعم شعبيته ، أو ربما كان لقب القديس الحامي القومي قد حدث عندما أسس الملك إدراورد الثانى ماعرف بنظام the Order of the Gater ، وجعله تحت حمايته ، والجدير بالذكر هنا أنه فى عام ١٤١٥م صار يوم الاحتفال بالقديس جورج من أكثر الأيام المحتفل بها أهمية من جانب الإنجليز ، ويلاحظ أن يوم ٢٣ أبريل اعتبر يوم الاحتفال بذكراه .

عنه انظر :

Attwater, The pengain dictionary of saints, London 1977 , p . 148.

صباح محمود محمد : " التنين فى المصادر العربية " ، ضمن كتاب دراسات في التراث الجغرافى العربى ، ط . بغداد ١٩٨١م ، ص ٩٠ .

٧١ – Ambroise, p. 260 .

٧٢ – ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

نبيلة مقامى ، فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ط . القاهرة ١٩٩٤م ، ص ٦٣

وانظر ملحق رقم (١) في نهاية البحث .

٧٣ – أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩١ ، ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٦٨ .

والطلب جمعه أطلاب ، وهو لفظ كردي يعني الأمير الذى يقود مائتي فارس في ساحة الوغي ويطلق أيضًا على قائد المائة ، وكذلك على قائد السبعين ، وكان أول ما استعمل هذا التعبير في مصر والشام فى عهد الناصر صلاح الدين ، ثم تطور مدلوله ليعني الكتيبة من الجيش ، عن ذلك انظر :

ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٦٢ ، حاشية (٣) ، ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٩ ؛ نظير حسان سعداوي ، جيش مصر في أيام صلاح الدين ، ط . القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص ٩ ، حاشية (٢) .

٧٤ – ابن خلكان ، المصـــدر الســـابق ، جـ٩ ، ص ١٩٧ ؛ ابن تغـرى بردى ، المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٤٥ .

٧٥ – ابن الأثيـر ، المصدر السـابق ، جـ٩ ، ص ٢١٥ ؛ ابن خلدون ، المصـدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٢٦ ؛ قدرى قلعجى ، صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر م ، ط . بيروت ١٩٧٩م ، ص٤٠٦ ؛ فايد حماد عاشور ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين فى العصر الأيوبي، ط . القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٢٢٤ .

٧٦ – ابن الأثيـر ، المصدر السـابق ، جـ٩ ، ص ٢١٥ ؛ ابن خلدون ، المصـدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٢٦ . Smail, p. 165

٧٧ – Runciman, vol. III , p. 56 .

٧٨ – عن دور السلطان صلاح الدين الأيوبى خلال تلك المرحلة العصيبة انظر :

ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٩١ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٦٨ ؛ المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

٧٩ – العماد الأصفهانى ، المصدر السابق ، ص ٥٤٤ .

٨٠ – البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٤٥ ، واتجه ذات الوجهة شفيق جاسر ، القدس تحت الحكم الصليبى ودور صلاح الدين في تحريرها ، ط . عمان ١٩٨٩م ، ص ٧١ . حيث يذكر أن المسلمين انتصروا فيها .

٨١ – Runciman, vol. III , p. 57 .

٨٢ – البير شاندور ، المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

٨٣ – المصدر السـابق ، جـ ٩ ، ص ٢١٦ ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيـان ، جـ ٨/ ق١ ، ط . حيدر اباد الدكن ١٩٥١م ، ص ٤٠٩ ؛ ويلاحظ

أن نفس الأمر وجدناه لدي أحد المؤرخين الصليبيين ونعنى به جوفرى أوف فينزوف إذ وصف قيماز بأنه كان رجلاً بالغ القوة حتى أن أى رجل لم يكن يستطيع إنزاله من صهوة جواده ، وكان يحمل رمحًا ثقيلاً فى وزن رمحين من تلك الرماح التى في أيدي الصليبيين ، وأشار ذلك المؤرخ الصليبي إلي أن الأتراك (أى المسلمين) حزنوا لفقده حزنٌ كبيراً .

Geoffrey of Vinsauf, p. 231.

٨٤ - ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

٨٥ - Ambroise, p. 265.

وقد أخذ بذات التحديد قدرى قلعجى ، المرجع السابق ، ص ٤٠٦ .

٨٦ - Ambroise, p. 265.

٨٧ - Oman, A History of The art of War in The Middle ages, vol. I, London. 1924, p. 317.

٨٨ - King, The Kinghts Hospitallers in The Holy land, London 1931, p. 151.

٨٩ - Ambroise, p. 265.

٩٠ - Runciman, vol. III, p. 57.

٩١ - Ambroise, p. 252.

٩٢ - المصدر السابق ، ص ٥٤٨ .

٩٣ - العماد الأصفهانى ، المصدر السابق ، ص ٥٤٨ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٢١٥ ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٩١ .

٩٤ - Ambroise, p. 265.

وانظر دوره الحربى ومقتله لدى :

Geoffrey of Vinsauf , p. 234 ; Painter, " The Third Crusade, Richard The Lion hearted and philip Augustus " , in Setton, A History of The Crusades, vol. III, Madison 1969, p. 75, Oman, p. 316 .

٩٥ – العماد الأصفهانى ، المصدر السابق ، ص ٥٤٨ .

٩٦ – نفسه ، نفس المصدر ، والصفحة .

٩٧ – نفسه ، نفس المصدر ، والصفحة .

٩٨ – Oman, p. 315 .

٩٩ – ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٢١٥ .

١٠٠ – Gibb, The life of Saladin, Oxford 1973, p. 71 .

١٠١ – Smail, p. 165 ; Runciman, vol. III , p. 57 .

حامد غنيم ، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ، جـ٢ ، ط . القاهرة ١٩٨٣م ، ص ١٥٩ ؛ بسام العسلى ، صلاح الدين الأيوبى ، ط . بيروت ١٩٨٤م ، ص ١٧٤ .

١٠٢ – Smail, p. 80 , King, p. 152 .

١٠٣ – Runciman, vol . III , p. 57 .

١٠٤ – ابن شداد ، المصدر السابق ، ط . بيروت ب . ت ، ص ١٧٧ ؛ Oman , p. 318 .

١٠٥ – Mayer, The Crusades, Trans. by John Gillingham , Oxford 1987, p. 145 .

١٠٦ – Runciman , vol. III .p , 57 .

١٠٧ - Grousset , Histoire des Croisdes et de royaume Franc de Jerusalem, T. III, Paris 1946, p. 71.

١٠٨ - الحنبلى ، المصدر السابق ، ص ٣٨٠ .

١٠٩ - يقول ابن الأثير ما نصه : " حتى لايبقي للفرنج في قصدها مطمع " ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٢١٦ .

وعن تدمير عسقلان انظر :

Geoffrey of Vinsauf, p. 231 .

ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٩٨ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٦٩ - ص ٣٧٠ ؛ ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٦ - ص ٤٧ ؛ السيد الباز العرينى ، الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، الأيوبيون ، ط . بيروت ، ١٩٦٧م ، ص ١٠١ .

١١٠ - ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٢١٦ ؛ الحنبلى ، المصدر السابق ، ص ٣٨٠ ، ويقرر حامد غنيم أن تاريخ ذلك هو أول رمضان عام ٥٨٧ هـ/١١٩١م ، ومن الجلى البين أن ذلك التحديد يختلف تمامًا مع ما أوردته المصادر التاريخية المعاصرة والمتأخرة على نحو يجعلنى لا أميل إلى الأخذ به ،

انظر :

حامد غنيم ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

١١١ - ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٩٨ .

١١٢ - نفسه ، نفس المصدر ، والصفحة .

١١٣ - عن سياسة التخريب التى سار عليها الأيوبيون بعد عسقلان انظر :

Geoffry of Vinsauf , p. 231 .

شاهنشاه بن أيوب ، كتاب التاريخ ، منتخبات منه منشورة فى ختام كتاب النوادر السلطانية لابن شداد ، ط . بيروت ، ص ٣٠٠ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٧٠ – ص ٢٧١ ؛ أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ط . بيروت ب . ت ، ص ٧٦ – ص ٧٧ .

١١٤ – ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٧٠ ؛ أحمد عبد الجواد الدومى ، صلاح الدين الأيوبى الناصر لدين الله ، ط . بيروت ب . ت ، ص ١٢٦.

١١٥ – ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٧٥ ؛ شاهنشاه بن أيوب ، المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

١١٦ – يوسف درويش غوانمه ، إمارة الكرك الأيوبية ، ط . عمان ١٩٨٢م . ص ١٦٦ .

١١٧ – Smail, The Crusaders in Syria and The Holy Land , London 1963 , p. 24 .

وعن أسباب فشل الحملة الصليبية الثالثة انظر :

Barker, The Crusades , London 1943, p. 66 .

١١٨ – عن صلح الرملة وشروطه انظر :

العماد الأصفهانى ، المصدر السابق ، ص ٦٠٥ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ . ص ٤٠٤ ؛ ابن العديم ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٢١ – ص ١٢٢ .

Ambroise, p. 429 - 430 ; Geoffrey of Vinsauf ,p. 429 - 330 ; Richard of Devizes , p. 63 - 64 ; Roger of Wendover , Flowers of History, vol. I, Trans. by J.A. Giles, London 1848 , p. 123 ; Lane -poole, p. 256, Campbell, the Crusades, London 1925, p. 328 .

محمود سعيد عمران ، الهدن بين المسلمين والصليبيين في عصر الدولة الأيوبية ، ضمن كتاب دراسات في بحوث تاريخ العصور الوسطي ، ط . الأسكندرية . ١٩٩٦م ، ص ٢٦ – ص ٢٧ ؛ عمر كمال توفيق ، الدبلوماسية الإسلامية

والعلاقات السلمية مع الصليبيين ، دراسات تحليلية وثائقية فى التاريخ الدبلوماسى، ط . الأسكندرية ١٩٨٦م ، ص ١٨٢ - ص ١٨٣

١١٩ - Roger of Wondover, p. 123 .

سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ط . القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٨٦١ ؛ على عبد الحليم محمود ، الغزو الصليبى والعالم الإسلامى ، ط . الرياض ١٩٨٢م . ص ١٠٨ .

ويلاحظ أن ريتشارد بعد مغادرته لبلاد الشام وقع أسيراً عند عودته في يد ليوبون دوق النمسا فقام بتسليمه إلى الإمبراطور هنرى السادس فقام بدوره بإلقائه في السجن حتى جمعت حكومته فدية كبيرة لإطلاق سراحه ، وما إن عاد إلى انجلترا حتى شن حربًا ضد ملك فرنسا فيليب أغسطس ، وكذلك أخيه حنا ، وقد لقى ريتشارد حتفه فى عام ١١٩٩م / ٦١١ هـ أثناء حصار قلعة شاتوس Chatus .

عن ذلك انظر :

Geoffrey of Vinsauf , p. 358 - 359 ؛ نظير حسان سعداوى ، تاريخ انجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى ، ط . القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٩٢ - ص ٩٣ .

١٢٠ - يوسف درويش غوانمه ، المرجع السابق ، ص ١١٩ .

١٢١ - ابن واصل ، المصدر لسابق ، جـ٢ ، ص ٥٩ .

١٢٢ - الفتح البندارى ، سنا البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى . ط . القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١٣٠ ؛ ابراهيم طرخان ، الناصر صلاح الدين وتحرير القدس ، ط. القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٧٦ .

١٢٣ - ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٥٣ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٩ ؛ المقريزى ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٦٤ .

١٢٤ - عنه : William of Tyre, vol . II , p. 397 - 454 .

ويلاحظ أن الباحث محسن محمد حسين قد تصور أن الملك الصليبى فى ذلك الحين هو بلدوين الثالث Baldwin III غير أن ذلك يخالف الواقع التاريخى ، إذا أن بلدوين الثالث قد حكم خلال المرحلة من ١١٤٣ - ١١٦٣م / ٥٣٨ - ٥٥٩ هـ ، والصواب أنه بلدوين الرابع Baldwin IV ؛ الذى حكم خلال المرحلة من ١١٧٣ إلي ١١٨٥م/ ٥٦٩ - ٥٨١ هـ .

انظر إشارته :

محسن محمد حسين ، المرجع السابق ، ص ٤١٢ .

والتصحيح من خلال :

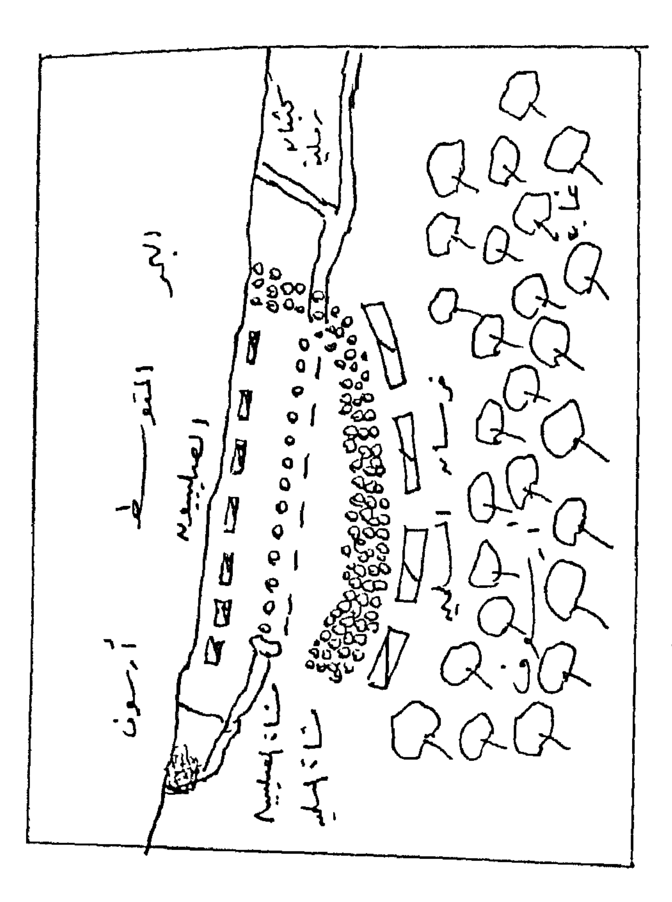
سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص ١٣٠٥ .

١٢٥ - William of Tyre, Vol. II, p . 431 .

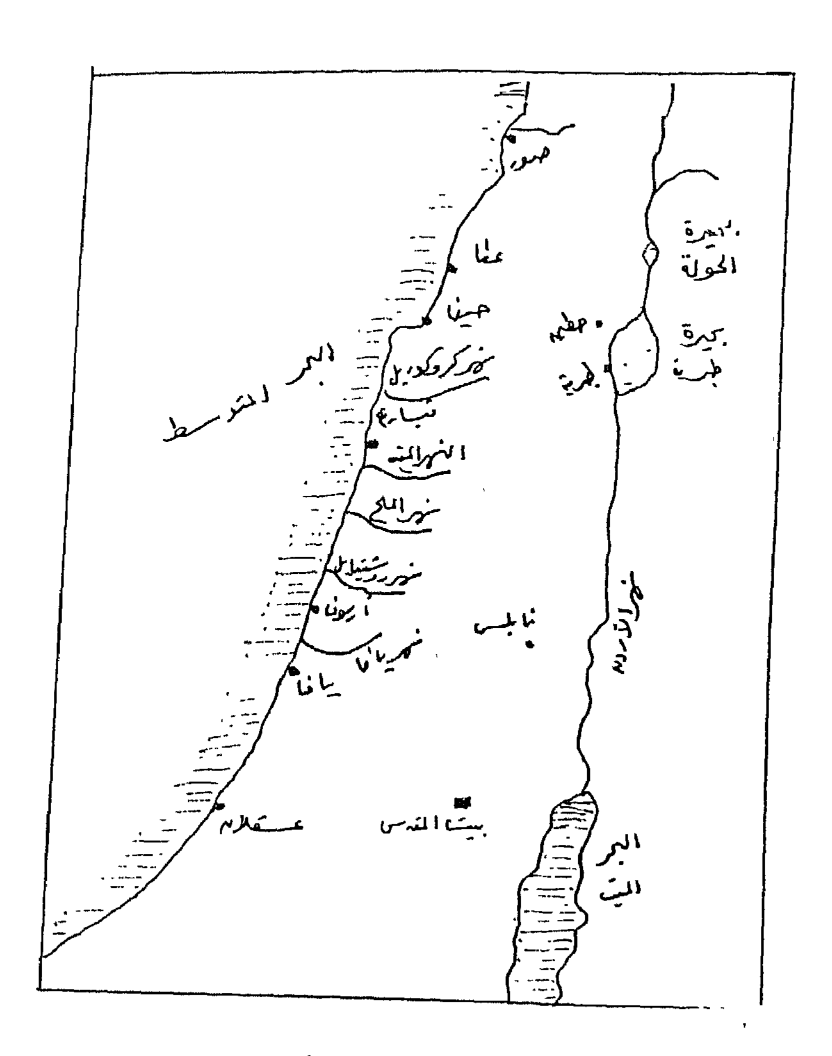
١٢٦ - يوسف درويش غوانه ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

١٢٧ - نفسه ، نفس المرجع ، ص ١٢١ ، دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين فى العصر الإسلامى ، ط . عمان ١٩٨٣م ، ص ١٨٩ .

الخرائط



معركة أرسوف نقلاً عن نظير حسان سعداوى
التاريخ الحربى المصرى



المواقع الجغرافية المتصلة بمعركة أرسوف

نقلاً عن :

Ambroise, The Crusade of Richard Lion - Heart, p. 237 .

الملاحــــق

ملحق رقم (١)

مسير قوات الصليبيين

بقيادة ريتشارد قلب الأسد

خلال المدة من ٢٢ أغسطس إلى

٧ سبتمبر ١١٩١

من خلال أومان ، تاريخ فن الحرب .

الخميس ٢٢ أغسطس من مجاورة عكا إلى نهر بيلوس Belus

الجمعة ٢٣ أغسطس الجيش يعبر بيلوس (ميلان) .

السبت ٢٤ أغسطس استراحة في المعسكر والتجهيز لمواصلة السير

الأحد ٢٥ أغسطس إلى حيفا (١١ ميل)

الاثنين ٢٦ أغسطس الراحة في حيفا

الثلاثاء ٢٧ أغسطس من حيفا إلى عثليث

حول قمم جبل الكرمل (١٢ ميل)

الأربعاء ٢٨ أغسطس الراحة في المعسكر .

الخميس ٢٩ أغسطس الراحة في المعسكر ووصول الأسطول

الجمعة ٣٠ أغسطس من عثليث إلى الميلات EL-Melat

(١٣ ميل)

السبت ٣١ أغسطس من الميلات إلى قيسارية
(٣ ميل) ، الإسطول يضع إمداداته

الأحد أول سبتمبر من قيسارية إلى النهر الميت
(٣ ميل)

الاثنين ٢ سبتمبر الراحة فى المعسكر .

الثلاثاء ٣ سبتمبر من النهر الميت إلى نهر الملح

الأربعاء ٤ سبتمبر الراحة فى المعسكر .

الخميس ٥ سبتمبر من نهر الملح خلال غابة
أرسوف إلى نهر روشيتايل

الجمعة ٦ سبتمبر راحة في المعسكر .

السبت ٧ سبتمبر من روشيتايل إلى أرسوف
ووقوع المعركة [١] .

---

1 - Oman , vol. I, p. 307 - 308 .

ملحق رقم (٢)

وصف بهاء الدين بن شداد

للهجوم الصليبى خلال معركة

أرسوف وآثاره على المسلمين

" ولقد رأيتهم وقد اجتمعوا فى وسط الرجالة ، وأخذوا رماحهم ، وصاحوا صيحة الرجل الواحد ، وخرج لهم رجالتهم . وحملوا حملة واحدة من الجوانب كلها ، فحملت طائفة على الميمنة وطائفة على الميسرة ، وطائفة على القلب ، فاندفع الناس بين أيديهم ، واتفق أنى كنت فى القلب ، ففر القلب فراراً عظيمًا ، فنويت التحيز إلى الميسرة ، كانت أقرب إلىّ ، فوصلتها وقد انكسرت كسرة عظيمة ، فنويت التحيز إلى الميمنة ، فرأيتها وقد فرت أشد فراراً من الكل ، فنويت التحيز إلى طُلب السلطان - رحمه الله - وكان ردأ الأطلاب كلها كما جرت العادة، فأتيته ولم يبق السلطان فيه إلا سبعة عشر مقاتلاً لا غير .... [١] .

---

١ - ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٨٣ - ص ١٨٤ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

ابن الأثير : (عز الدين محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)

الكامل فى التاريخ ، ط . بيروت ١٩٦٧م .

ابن تغرى بردى : (جمال الدين يوسف ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٩م)

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط . القاهرة ١٩٣٦م .

ابن خلدون : (عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م)

العبر وديوان المبتدأ والخبر . ط . بيروت ، ١٩٧١م .

ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق حسان عباس ، ط . بيروت ١٩٦٧م

ابن شداد : (القاضى بهاء الدين ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م)

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . ط . بيروت ب . ت ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة ١٩٦٤م .

ابن شداد : (عز الدين أبو عبد الله ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م)

الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق ، سامى الدهان . ط . دمشق ١٩٦٢م .

ابن العديم : (كمال الدين أبو القاسم ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١م)

زبدة الحلب من تاريخ حلب ، جـ ٣ ، تحقيق سامى الدهان . ط . دمشق ١٩٦٧م .

ابن كثير : (اسماعيل بن عمران الدمشقى ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٥م)

البداية والنهاية ، ط . بيروت ب . ت .

ابن القلانسى : (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م)

ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط . بيروت ١٩٠٨م .

ابن واصل : (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨م)

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة ١٩٥٧م .

أبو شامة : (شهاب الدين عبد الرحمن ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦م)

الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية . ط . بيروت ب - ت .

أبو الفداء : (اسماعيل بن علي ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م)

تقويم البلدان ، تحقيق رينو ودي سلان . ط . باريس ١٨٤٠م .

المختصر فى أخبار البشر ، ط. بيروت ب - ت .

سبط بن الجوزى : (أبو المظفر يوسف ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م)

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان جـ ٨ / ق١ . ط . حيدر أباد الدكن ١٩٥١م .

السمعانى : (عبد الكريم بن محمد ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٧م)

الأنساب ط . بيروت ب . ت .

شاهنشاه بن أيوب : (تاج الدين شاهنشاه بن أيوب ت ٧٨٥هـ / ١٣ م)

كتاب التاريخ،منتخبات منه منشورة ضمن كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ط . بيوت ب . ت .

شيخ الربوة الدمشقي : (أبو طالب الأنصاري ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦م)

نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ط . بطرسبرج ١٨٦١م .

الطرطوسى :

تذكرة أرباب الألباب تحقيق كلود كاهن B.E.O., T.XII, Années 1947 - 1948 .

العماد الأصفهانى : (محمد بن محمد ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١م)
الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد صبيح . ط . القاهرة ١٩٦٥م .
عماد الدين الأصفهانى : (القاضى عماد الدين ت بعد عام ٥٩٣ هـ/١١٩٦م)
البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، تحقيق كلود كاهن ,.B.E.O T.XII, Années 1947 - 1948 .
الفتح البندارى : (الفتح بن على بن محمد ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م)
سنا البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى ، ط . القاهرة ١٩٧٩م.
مجير الدين الحنبلى : (ت القرن ١٠ هـ / ١٦ م) .
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل . ط ، عمان ١٩٧٣م .
المقدسى : (شمس الدين أبو عبد الله ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨م)
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، تحقيق دى جويه .ط، ليدن ١٩٠٩م .
المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)
السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ / ق ١ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة . ط، القاهرة ١٩٥٦م .
ياقوت الحموى : (شهاب الدين بن بى عبد الله ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م)
معجم البلدان . ط ، بيروت ١٩٧٧ . تحقيق فريد عبد العزيز الجندى . ط ، بيروت ١٩٩٠م .

ثانيًا المصادر الأوربية :

- Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion , Trans. by Hubert, New york 1943 .

- Daniel , Pilgrimage of The Russian Abbot Daniel in The Holy Land , Trans by Wilson, p.p.T.S. , vol . VI, London 1895 .

- Eracles , L'Estoire d'Eracle Empereur et la conqueste de la Terred'Outremere, in R.H.C., Hist. Or. T.I .

- Fulcher of Charties, A History of The Expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian , Tennesse 1969 .

- Geoffrey of Vinsauf. Crusade of Richard Coeur de Lion , in Chronicles of The Crusades, London 1908 .

- Guide Book to Palestine, Trans. by J.H. Bernard, p.p.T.S, vol . V ,. London 1894 .

- Otto of St. Blasion, The Third Crusade 1188 - 1190 , From The chronicle of Otto of, St. Blasion, in Thatcher, Source Book of Medieval History, London 1902 .

- Richard of Devizes, Crusade of Richard Coeur de Lion, in chronicles of The Crusades, London 1908 .

- Roger of Wendover, Flowers of History , vol . II, Trans. by J.A. Giles, London 1848 .

- Saewulf, pilgrimage of Saewulf, Trans. by Bishop of Clifton, p.p.T.D., vol . IV, London 1896 .

- Theoderich, Description of The Holy Land, Trans . by Aubrey stewart, p.p.T.S, vol V, London 1896 .

- William of Tyre, A History of The deeds done beyond The sea, vol. I, Trans. by Babcock and Krey, New york 1943 .

ثالثًا : المراجع العربية والمعربة :

ابراهيم طرخان (د.) : الناصر صلاح الدين وتحرير القدس . ط. القاهرة ١٩٦٨م .

أحمد جواد الدومى : صلاح الدين الأيوبى الناصر لدين الله . ط، بيروت ب.ت.

البير شاندور : صلاح الدين الأيوبى البطل الأنقى فى الإسلام ت . سعيد أبو الحسن ط . دمشق ١٩٨٨م .

السيد الباز العرينى (د .) : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٣م .

الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، الأيوبيون ، ط. بيروت ١٩٦٧م .

بسام العسلى : صلاح الدين الأيوبى ، ط. بيروت ١٩٨٤م .

فن الحرب الإسلامى أيام الحروب الصليبية ، ط . بيروت ١٩٨٨م .

جنفياف شوفيل : صلاح الدين بطل الإسلام ، ت . جورج أبى صالح ، ط . بيروت ١٩٩٢م .

جوزيف داهموس : سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى ، ت . محمد فتحى الشاعر . ط . القاهرة ١٩٩٢م .

حامد غنيم (د .) : الجبهة الإسلامية فى عصر الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٨٣م .

حسن عبد الوهاب (د .) : تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى ، ط . الأسكندرية ١٩٩٠م .

زينب عبد القوى (د .) : الانجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩ - ١٢٩١م ط . القاهرة ١٩٩٦م .

سعيد عاشور (د .) : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ط . بيروت ١٩٧٢م .

شفيق جاسر (د .) : القدس تحت الحكم الصليبى ودور صلاح الدين فى تحريرها، ط . عمان ١٩٨٩م .

شين ماك جلين : " بعض الأوهام عن التكتيك الحربى فى العصور الوسطى " ت. اسحق عبيد ، مجلة الثقافة العالمية ، العدد (٦٥) يوليو ١٩٩٤م .

صباح محمود محمد (د .) : " التنين فى المصادر العربية " ضمن كتاب دراسات فى التراث الجغرافى العربى ، ط . بغداد ١٩٨١م .

عبد الرحمن زكى (د.) : الجيش المصرى فى العصر الإسلامى من الفتح العربى إلى معركة المنصورة ، ط . القاهرة ١٩٧١م .

عبد الهادى شعيرة : " الرملة ورباطاتها السبعة " ، المجلة التاريخية المصرية م(١٥) ، عام ١٩٦٩م .

على عبد الحليم محمود (د.) : الغزو الصليبى والعالم الإسلامى . ط ، الرياض ١٩٨٢م .

عمر كمال توفيق (د .) : الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين ، دراسات تحليلية وثائقية فى التاريخ الدبلوماسى ، ط. الأسكندرية ١٩٨٦م .

فايد حماد عاشور (د .) : الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين فى العصر الأيوبى. ط . القاهرة ١٩٧٧م .

جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية ، ط . بيروت ١٩٨٥م .

فهمي توفيق مقبل (د .) : الفاطميون والصليبيون . ط ، بيروت ١٩٧٩م .

قدرى قلعجى : صلاح الدين الأيوبى ، قصة الصراع بين الشرق والغرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، ط. بيروت ١٩٧٩م .

محسن محمد حسين (د .) : الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين . ط ، بيروت ١٩٨٦م .

محمود الحويرى (د .) : العادل الأيوبى ، صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية . ط ، القاهرة ١٩٨٠م .

محمود سعيد عمران (د .) : " الهدن بين المسلمين والصليبيين فى عصر الدولة الأيوبية " ضمن كتاب دراسات فى بحوث تاريخ العصور الوسطى ، ط . الأسكندرية ١٩٩٦م .

مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ ٤ / ق٢ ، ط . بيروت ١٩٧٢م .

ميخائيل زابوروف : الصليبيون فى الشرق ، ت . إلياس شاهين ، ط . موسكو ١٩٨٦م .

نبيلة مقامى (د .) : فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر ط . القاهرة ١٩٩٤م .

نظير حسان سعداوى (د .) : التاريخ الحربى المصرى في عهد صلاح الدين الأيوبى . ط ، القاهرة ١٩٥٧م .

جيش مصر فى أيام صلاح الدين ، ط . القاهرة ١٩٥٩م .

الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى ، ط . القاهرة ١٩٦١م .

تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى ، ط . القاهرة ١٩٦٨م .

هاملتون جب : " أرسوف " فى دائرة المعارف الإسلامية . ت ، خورشيد وآخرون، ط . القاهرة ب . ت .

يوسف درويش غوانمه (د .) : إمارة الكرك الأيوبية . ط ، عمان ١٩٨٢م .

دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين فى العصر الإسلامى ، ط . عمان ١٩٨٣م .

رابعًا : المراجع الأجنبية :

- Attwater (D.), The penguin Dictonary of Saints, London 1977 .

- Barker (E.) , The Crusades, London 1943 .

- Campbell, The Crusades, London 1929 .

- Fuller, Decisive battels of Western Europe and their influences upon History, London 1954 .

- Gibb (H.), The life of Saladin , Oxford 1973 .

- Grousset (R.), Histoire des Croisades et de royaume Franc de Jerusalem T. III, Paris 1946 .

- King (.E.J.) , The Kinghts Hospitallers in The Holy land , London 1931 .

- Lane-poole (S.) , Saladin and The Fall of The latin Kingdom of Jerusalem, London 1898 .

- Le Strange (G.), The lands of Eastern Caliphate , Mesopotamia , persia and central Asia From The Moslem conquest to the time of Timur, London 1966 .

- Mayer (H.), The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford 1987.

- Oman (CH.), A History of The art of War in The middle ages, vol. I, London 1924 .

- Painter (S.), " The Third Crusade, Richard The Lion Hearted and philip Augustus " , in Setton, A History of The Crusades, vol. I , Madison 1969 .

- Prawer (J.), Crusader Institutions, Oxford 1980 .

- Richard (J.), " la bataille de Hattin , Saladin defait L'Occident " , H., T.XLVII, Année 1982 .

- Runciman (S.), A History of The Crusades, vol . III, London 1971 .

- Smail (R.), Crusading Warefare (1097 - 1193) , Cambridge 1956 .

The Crusaders in Syria and The Holy Land , London 1973 .

_ Thatcher (O . J .) and Meneal (E.H.) , Source Book of Medieval History , New york 1902.

رقم الايداع : ٢٨٥٠ / ٩٨
I.S.B.N 977 - 5487 - 84 - 6